هموم الوطن وقضاياه في ديوان
وَيُزْهِرُ السَّعْدُ للشاعر محمد توكلنا

« دراسة موضوعية وفنية »

إعداد

د/ نجفة السيد الشنهاب عيطه

مدرس الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة

هموم الوطن وقضاياه في ديوان (ويزهر السعد)للشاعر محمد توكلنا دراسة موضوعية وفنية

نجفة السيد الشنهاب عيطه
قسم الأدب والنقد(شعبة اللغة العربية)، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة، جامعة الأزهر ، القاهرة ، مصر
البريد الإلكتروني : (NagafaEita712.el@azhar.edu.eg)

الملخص :

بدأت الباحثة بحثها بالحديث عن قيمة الشعر، ودوافع اختيار الموضوع وأبرزها حضور شاعرنا الباهر في قضايا أمته حاثا إياها على إحياء أمجادها وحضارتها، كما دعت الباحثة إلى دراسة شعر الشعراء المعاصرين الذين يحتوى شعرهم على القيم الأخلاقية التي تسمو بالنفس ،وترقى بالروح، وتنهض بالمجتمع ،كما تناولت الباحثة التعريف بالشاعر ونتاجه العلمي وروافد إبداعه ومفهوم الشعر وغايته، ودراسة شعره الوطني والاجتماعي ، وخصائص الألفاظ والأساليب ، وسمات المعاني ،وعاطفة الشاعر الصادقة في تجاربه الشعرية ، وإيثاره للشكل العمودي والموسيقى المتلائمة مع المعاني والعواطف الداخلية للشاعر ، والوحدة العضوية والموضوعية ، وصور الشاعر الجزئية والكلية التي اعتمد فيها على الرمز أو الحقيقة أو الخيال .

الكلمات المفتاحية : هموم ، الوطن، قضاياه ،ويزهر السعد ، محمد توكلنا.

The Concerns of the Nation and its Issues in Divan: "Wayozher Alsaad" for the poet Mohamed Tawakolna, an objective and technical study.

Nagafa Elsayed El Shinhab Eita

Department of Literature and Criticism (Arabic Language branch), Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Mansoura, Al-Azhar University, Cairo, Egypt
Email: (NagafaEita712.el@azhar.edu.eg)

Abstract:

The researcher began her research by talking about the value of poetry, and her motives for choosing the topic. The most prominent of these motives is the presence of our brilliant poet in the issues of his nation as he urges his nation to revive its glories and civilization. The researcher also called for studying the poetry of contemporary poets whose poetry contains moral values that are self-evident, uplifting the spirit, and the advancement of society. The researcher also dealt with the definition of the poet, his scientific output, the tributaries of his creativity, the concept of poetry and its purpose, the study of his national and social poetry, the characteristics of words and methods, features of meanings, and the poet's sincere passion in his poetic experiences. The researcher also focused on the poet's altruism of the vertical form, music appropriate to the poet's inner meanings and emotions, organic and objective unity, and partial and total portraits of the poet in which he relied on symbol, truth or imagination.

keywords: Concerns; Nation; its Issues; Divan; Wayozher Alsaad ; Mohamed Tawakolna.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله العلي العظيم حمداً يوافي جزيل نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأشكره أعظم الشكر على أن هدانا للإيمان، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن للشعر منزلة رفيعة، ومكانة عالية، فهو سجل الأمة الذي يربطها بماضيها وحضارتها، والشاعر هو ترجمان أمته ورائدها الذي يحدو بآمالها، ويعبر عن آلامها .

ومن ثم تخيرت موضوع «**هموم الوطن وقضاياه في ديوان : «ويزهر السعد»** للشاعر محمد توكلنا دراسة موضوعية وفنية» لعدة أسباب :

١- حضور شاعرنا البارز في قضايا أمته الإسلامية راصداً ومحللاً، حاثاً إياها على استلهام النهج الظافر بإحياء أمجادها وحضارتها، والإرادة القوية الصامدة في تجاوز الواقع المهين المظلم وتغييره .

٢- معايشة أديبنا لقضايا أمته الاجتماعية؛ لافتاً أنظار أمته بأسلوب النقد اللاذع إلى ما هو كائن، من أجل ما ينبغي أن يكون تارة، وبأسلوب النصح والإرشاد تارة أخرى .

٣- مما حفزني إلى هذا البحث الذي تناولت فيه شاعراً معاصراً ما زالت إبداعاته الشعرية تتوالى، وما زال يصدح في سماء الشعر العربي ببدائعه، هو ذلك العزوف عن دراسة الشعراء المعاصرين - من قبل الباحثين – مع ما في شعرهم من ثراء وقيم أخلاقية، ومُثل رفيعة تسمو بالنفس، وترقى بالروح، زعماً بأن دراسة الأدباء الأحياء تنأى بالبحث عن النزاهة، وتتطرق به إلى المجاملة والمحاباة، وهذا فهم خاطئ يؤدي إلى ضياع كثير من جهود أدبائنا.

٤- أردت أن تكون تلك الدراسة لبنة في الدراسات المتتابعة عن الشاعر، مما يكشف عن جهوده ومكانته بين الشعراء المعاصرين .

وقد اقتضت خطة البحث أن يقسم إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة، وثبت للمصادر والمراجع .

* **المقدمة :** وتشتمل على عنوان الموضوع، وأسباب اختياره، والخطة التي وضعت له .

* **التمهيد :** ويشمل التعريف بالشاعر ونتاجه الشعري، وروافد إبداعه الشعري، ومفهوم الشعر وغايته .

* **الفصل الأول:** الدراسة الموضوعية «لهموم الوطن وقضاياه في ديوان: ويزهر السعد» ويشتمل هذا الفصل على مبحثين :

ـ **المبحث الأول:** الشعر الوطني .

ـ **المبحث الثاني :** الشعر الاجتماعي .

* **الفصل الثاني:** الدراسة الفنية وتشتمل على ستة مباحث :

ـ **المبحث الأول:** الألفاظ والأساليب .

ـ **المبحث الثاني:** المعاني والأفكار .

ـ **المبحث الثالث:** الصورة الشعرية .

ـ **المبحث الرابع:** التجربة الشعرية .

ـ **المبحث الخامس:** الوحدة العضوية .

ـ **المبحث السادس:** الموسيقى الشعرية .

وكانت الخاتمة وذكر فيها النتائج المهمة .

ثم ثبت المصادر والمراجع .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

د/ نجفة السيد الشنهاب عيطه

التمهيد

ويشتمل على التعريف بالشاعر، وروافد إبداعه الشعري، ومفهوم الشعر وغايته .

أولاً : مولده ونتاجه الشعري:

هو الشاعر الأديب محمد توكلنا، شاعر عربي إسلامي أصيل، من مواليد دمشق بسوريا، يدرس اللغة العربية بمعاهد دمشق للعلوم الشعرية، وهو عضو بأسرة التحرير في (بيت فلسطين للشعر) ، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

له دواوين شعرية، منها: «هذه سبيلي»، و«عناد الريح»، و«عودة النسور»، و«يزهر السعد»[١] .

ثانياً: روافد إبداعه الشعري:

ومن أهم الروافد التي أثرت في شاعرية أديبنا حفظ الشعر، يقول ابن خلدون :

« اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً أولها الحفظ من جنسه ، أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها، (...) فمن قلّ حفظه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط » [٢] .

فحفظ الشعر لا شك من أهم الأسباب التي تصقل الملكة الفنية وتشحذها للإجادة إذا كان الشاعر صاحب فطرة وموهبة « فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلّة ذلك المحل » [٣] ، فضلاً عن اشتغاله بتدريس اللغة العربية مما دفعه إلى التجويد الفني، والرؤية الفكرية الهادفة، دون أن يقع في الغموض أو الغرابة، أو التعقيد، أو التحرر الفني حيث آثر الشكل العمودي إطاراً لقصائده.

ومن أكثر الروافد تأثيراً في شعر أديبنا؛ ثقافته المتنوعة ما بين ثقافة إسلامية، وثقافة عربية، حيث إن ثقافة الشاعر تعد الخلفية الفكرية التي ينهل من معينها،

---

(١) ديوان ويزهر السعد للشاعر محمد توكلنا (ص٣)، ط١، دولة الكويت ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، سلسلة روافد، الإصدار: ٧٩ .

(٢) مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ، (ص١١٦٣)، ج٣، سلسلة التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م .

(٣) المرجع السابق (ص١١٤٩) .

ولها الأثر الأكبر في اتجاهات الشاعر، وأسلوبه وشخصيته، وصوره الأدبية.

١- الثقافة الإسلامية:

وأبرز ملامحها التأثر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف .

فمن النماذج التي استخدم فيها الشاعر المعجم القرآني قوله في قصيدة : «سبيل الدعوة» [١] : [البسيط]

وكُنْ على الله دونَ النَّاسِ مُتّكلاً تَلْقَ المعونةَ منهُ دُونما طلب[٢]

وكُنْ تقيّاً تنلْ مِنْ فضلِهِ فرجاً لكُلِّ ضيقٍ وتُرزق غير محتسبِ[٣]

ومن ذلك قوله في قصيدة : «إلا ما سعى»[٤] : [الكامل]

«يا أَيُّها الإنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ» ما كانَ سَعْيُكَ في السَّماءِ مُضَيَّعا

سُبْحَانَ مَنْ أَوْحَى إلى مُخْتارِهِ «أَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى»

وهذه النماذج تدل مع غيرها على تأثر شاعرنا بالبيان القرآني، وهو تأثر نابع من وجدان مشرق بالإيمان، ورؤية إسلامية للحياة.

ومن تضمينه للحديث الشريف قوله في قصيدة : «المُعَلِّم» [٥] : [الكامل]

رُسُلُ الإلهِ عُلومهمْ ميراثُنا مَا وَرَّثُوا وَرِقاً ولا عِقْيانا

يا سَعْدَ مَنْ آلتْ إليه كنوزهُمْ فحبا الأنامَ نفائساً ألوانَا

فقد تأثر الشاعر بالحديث الشريف في قوله (صلى الله عليه وسلم) : «إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورّثوا العلم

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٩٠).

(٢) تضمين لقوله تعالى: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)** من سورة الطلاق من جزء الآية ٣ .

(٣) تضمين لقوله تعالى: **(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ)** من سورة الطلاق من جزء الآية (٢، ٣).

(٤) ديوان ويزهر السعد (ص٢١، ٢٢). والشطر الأول اقتباس من قوله تعالى : (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه) [من سورة الانشقاق من جزء الآية ٦] .

(٥) المرجع السابق (ص٦٠) .

فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ» [١] .

إلى جانب تأثره بالقرآن الكريم والحديث الشريف يأتي تأثره بالتراث الإسلامي ويتمثل في استدعاء الشخصيات الإسلامية كالنبي (صلى الله عليه وسلم)، وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، والخنساء (رضي الله عنها) .

يقول الشاعر في قصيدة : «شاهد الدهر» [٢] : [الكامل]

ودولةً من جبين الشَّمسِ مُهْجَتُها مَدَّت إلى مُهْجةِ الدنيا شراييناً؟

دستورها فاطر الأكوان أنزله وزادها برسول منه تمكينا

نبيُ صِدْقٍ مُلوكُ الأرض ترْهَبُهُ والعبدُ يَلْقى لديه البِشْرَ واللّينَا

في كفّهِ يَنتهي بَحْرُ النّدى وبها يُسائل اللهِ أَنْ يلقاهُ مسكينَا

به هَدى اللهُ للإيمانِ أفئدةً تُرْضى بمعصيةِ اللهِ الشياطينَا

وَلَمَّ بِالرِّفْقِ أعداءً على حَرَدٍ إلى الفناءِ بحدِّ السَّيْفِ ماضينا

ورفرفتْ في تُخومِ الأَرْضِ رايتنا نَسْقى الحضارات مِن عذبٍ وتسقينا

يستدعي الشاعر في الأبيات السابقة شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم) فيمدحه بالصفات الربانية، ويعظم الدور الذي قام به في هداية البشرية، وتحويل صحراء الشرك إلى نور الإيمان، فيركز الشاعر جهده في الحديث عن فضل النبي وما أنزل عليه من القرآن الكريم والدين القويم.

وشاعرنا يكشف عن التاريخ الإسلامي المجيد باستدعائه لشخصية الفاروق عمر (رضي الله عنه) الذي يرتبط في وجدان المسلمين بفتح بيت المقدس واستنقاذه من أيدي الصليبيين فيقول في قصيدة : «منائر القدس» [٣] : [البسيط]

---

(١) الحديث رواه أبو داود في سننه كتاب العلم، باب «الحث على طلب العلم»، ج٣٩/٤، رقم الحديث (٣٦٤١).

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص١٢).

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٢٩).

منائرَ القدسِ قلبي بـــالحِمى وَقَفَـــا دعاهُ شوقٌ إلى المحـــرابِ فاعتكفـــا

إذا تجلّى لَهُ الأمس انتشـــى طربـــاً فيبعثُ الحاضر الداجي بـــهِ أســـفا

يودُّ لَو أنَ شمس الأمس ما أفلـــت أو أنّ ليلَ الأسى عن دربه انحرفـــا

هنا تلا جَـــدُّهُ الفـــاروقُ عُهْدَتَـــه في إيلياء يبـــثّ الأمـــن والنّصـــفا

لا يُكْسَرَنّ صـــليبٌ أو يبـــاح دمٌ ولا يُجَازَى امرؤ في غير ما افترقـــا

تألّفـــت في ديـــارٍ رحبـــةٍ ملـــلٌ فأورق السعد فيها والزمان صـــفا

فاستدعاء الأبطال الإسلاميين الذين صنعوا تاريخاً وحضارة أتى به الشاعر «ليشخص صور الرجولة الضائعة، والخذلان القائم من خلال تلك المفارقة التصويرية» [١] .

يقول الشاعر :

أقصيتَ مغتصبَ الأقصى وصـــنتَ مجداً فجازوكَ سوَء الكيل والحشفا

قُمْ واشهد اليومَ أقصانا تعيثُ بـــهِ شـــراذمٌ زادهـــا تفريطنـــا صـــلفا

أرانبُ اسْتأسدتْ واشّتدّ مِخْلبـــها لما سدلنا علـــى أحـــداقنا سُـــجفا

جحورها زلزلتْ أرْكانَ مســـجدنا وهاتفُ المـــوتِ في أسماعـــه هتفـــا

فشاعرنا يقدم رصداً لملامح شخصية الفاروق وسماحته وعدالته التي تعانقت بها المآذن مع أجراس الكنائس، رابطاً بين الماضي المجيد والحاضر المهين، لإبراز حدة التناقض بين ماضينا وحاضرنا من انتصار ومجد، وروح جهادية متقدة العزائم للفاتحين، وهزيمة وتقاعس وضعف للمسلمين المعاصرين .

واستدعاء الشاعر للشخصيات الإسلامية التاريخية التي لها في وجدان الأمة

---

(١) مجلة الأدب الإسلامي، العدد الواحد والستون، (ص٤٧-٥٨)، ط من مقال بعنوان «عقبة بن نافع في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر دلالات وجماليات»، د. جمال مباركي، ط ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

نقوش محفورة، إنما لبث الثقة في نصر الله، والتذكير بأن هزيمة المسلمين ليست أبدية، وأن في إمكان المسلمين المعاصرين التماس النهج الظافر في الانتصار الكبير الذي حدث في البطولات الإسلامية، ليقتدي الخلف بما صنعه السلف[١]، فالرجوع إلى التاريخ بأبطاله وحوادثه إنما هو ارتباط بقضايا الأمة، لأن الشاعر يعكس واقعاً معيشاً، أي التجاوز بالتاريخ إلى الوعي بالحاضر، فالماضي أساس الحاضر، وأحداث الماضي ليست مجرد أحداث تاريخية حدثت وانتهت، بل لا تزال شاخصة في ذاكرة الأمة الإسلامية، لتذكرها بأن الأطماع في السيطرة على ثرواتها، والرغبة الجارفة في إبادتها ما زالت قائمة [٢] .

ومن استدعاء الشاعر للشخصيات الإسلامية التاريخية استدعاؤه «للخنساء» التي ترتبط في ذاكرة الأمة بالصبر على فقد أبنائها الأربعة يوم القادسية، بعد التفجع والهلع على فقد أخيها صخر في الجاهلية .

وهذا التباين في الموقفين يدل على عظمة الإيمان الذي يجلي في النفوس المؤمنة حب الجهاد والتضحية في سبيل الله بفلذات الفؤاد، واحتساب الأجر العظيم من الله سبحانه، يقول الشاعر في قصيدة : «رسالة الخنساء»[٣] : [الكامل]

أمضيتُ شطر العمر في الآهاتِ ونظمتُ من غُصص الشَّجى زفراتي

وبكيتُ صخراً بالدموع وبالدّما وأضعتُ فيه تجلّدي وأناتي

حتى عرفتُ الله بعد جهالةٍ ونقلتُ في درب الهدى خُطواتي

فحباني الإيمانُ عزماً صادقاً يُزْرِي بما في الأرض من غمرات

---

(١) يراجع الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ د/نبيل سليمان طبوشة، (ص٢٠٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م، والقصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث، د. حلمي محمد القاعود (ص١٦١)، دار الاعتصام، ١٩٩٨م .

(٢) يراجع النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال (ص١٦)، مطبعة الفجالة، القاهرة، ومقدمة ابن خلدون، تحقيق د/ علي عبد الواحد وافي ج١، ص٢٨٢- ٢٩١)، والتاريخ أثره وفائدته، ت أ.ل . «راوز» ترجمة مجد الدين حفني ناصف، (ص١٥) .

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٨٣) .

فـــدفعتُ يـــوم القادســـية أربعـــاً في موكب الشهداء مـــن فِلْـــذاتي

وحمدتُ ربّي حـــين قـــال نَعـــيُّهمْ: هُم يَسْـــرَحون اليـــوم في الجنّـــات

فاستدعاء «الخنساء» في تجربة الشاعر يكسب التجربة أبعاداً فنية رامزة، حيث يتجاوز الشاعر باستدعاء تلك الشخصية أسوار التاريخ لإسقاطها على الواقع المعاصر، لتصوير الشعور الناقد أو الرافض للواقع الإسلامي المعاصر، والعودة إلى الماضي بالتغلغل في صميم الحياة الإسلامية الناطقة بالوجه الحضاري للإسلام، لدفع المسلمين المعاصرين إلى النهوض من جديد [١] .

يقول الشاعر في قصيدة[٢] : «رسالة الخنساء»

يا أمَّـــةً جـــادت بمثلـــي رَحْمُهَـــا وبمثـــل أبنـــائي زهـــتْ وبنـــاتي

طافت بيَ الأنبـــاءُ عنـــك فأرّقـــتْ رُوحي وراعت في التـــراب رفـــاتي

أسلمتِ جفنك بعد صحوٍ للكـــرى ورضيتِ من صيد العُـــلا بفُتـــات؟

وتألفـــت أمـــمٌ شـــتيتٌ شملـــها ونُكِبْـــتِ بَعـــد تـــألّفٍ بشـــتاتِ؟

وقد اعتصمتِ بحبل ربِّـــك حِقْبَـــةً فأقمتِ في حـــرزٍ مـــن العثـــراتِ

ورفعـــت للإيمـــان رايـــةَ عـــزَةٍ في كُـــلِّ حاضـــرةٍ وكـــل فـــلاة

وحباك ربُّكِ من خـــزائن فضـــلهِ فَصْلَ الخطـــاب ومحكـــم الآيـــاتِ

أكبرتُ نبراســـاً نَشَـــرْتِ ضـــياءه في الأرض يَجْلوَ حالكَ الظّلمـــاتِ

وعلى مناهلـــكِ الهنيئـــةِ أقبلـــتْ أُمـــمٌ مـــن الآفـــاقِ مســـتقيات

فالشاعر يقارن بين ماضي المسلمين وحاضرهم ليقدم الرؤية الإيمانية التي تتوهج بالشوق إلى انتصار الوجود الإسلامي، وعودته إلى تسنُّم ذروة المجد وقمة الحضارة .

---

(١) يراجع الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، د/ صابر عبد الدايم، (ص٣١٦، ٣١٧).

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٨٤) .

ومن ثم يقدم الشاعر التصور الإسلامي الواضح الذي يضع الدين منطلقاً إلى الثورة، وحافزاً للعظمة والعزة على أرض الإسلام، فالتمسك بأسباب النصر لن يكون بغير الأخذ بمنهج الله، ونبذ عوامل الفرقة والتخاذل، ومن هنا نرى توجه الشاعر نحو قضايا أمته يجاهد بشعره، ويشارك في نصرة قضاياها باستنهاض عزائمها لاسترجاع المجد الإسلامي الأثيل .

ومن هنا يتضح قدرة أديبنا في توظيف الشخصية الإسلامية والإفادة من معطياتها التاريخية في تكثيف فني رائع ينم عن رؤية واعية لتاريخنا الإسلامي وإدراك تام لقيمته، وما يمكن أن يضيفه إلى الواقع [١] .

٢- الثقافة العربية :

وتتمثل في تمسك شاعرنا بالتراث الشعري القديم، واستمداده منه وكثرة محفوظه من ديوان العرب، مما يدل دلالة قاطعة على أن الشاعر قد نهج نهج الفحول من الشعراء .

وقد حافظ الشاعر على الشكل العمودي المحافظ على وحدتي الوزن والقافية، وقوة الألفاظ ورصانتها، وحسن الصياغة، وخلو الألفاظ من الركاكة والغرابة والتكلف.

ومن ناحية المعنى فقد سلم من الغموض وسقم الخيال، فقد استخلص الشاعر أحسن ما في التراث من معنى لمعايشة قضايا أمته الإسلامية .

فالتراث العربي كان الينبوع الثّر الذي نهل من معينه شاعرنا، وهو الذي أهله لأن يكون عضواً بأسرة التحرير في بيت (فلسطين للشعر) [٢] .

ومن تأثر شاعرنا بالتراث العربي استعماله الرموز التراثية سواء كانت الرموز جزئية أم كلية، فهي جميعاً تغرف من الثقافة الأصيلة .

و«الرمز في الأعمال الفنية عامة والأدبية خاصة له وظيفة حيوية، فضلاً عن

---

(١) أبعاد التجربة الشعرية في شعر د. صابر عبد الدايم، د. صادق علي حبيب (ص٢١).

(٢) بيت فلسطين للشعر وثقافة العودة : مؤسسة أنشئت عام ٢٠٠٩م، وهي جمعية ثقافية غير ربحية تقوم على تأكيد أن الأرض والقدس حق للفلسطينيين ، وأن العودة حق تاريخي وديني وثقافي وإنساني ، والدفاع عن التراث العربي الفلسطيني أمام المحتل الذي يسرق التراث ويحاول تزييف التاريخ والهوية ومن ثم توظيف الأدب في خدمة قضايا القدس .

كونه صورة موحية مؤثرة من صور الجمال التعبيري» [١] .

فمن الرموز الجزئية النسور، والجياد، والأمهار، فرمز النسور في رؤية الشاعر يوحي بمعاني الصمود والإصرار، والخلود والحرية والقوة والرفعة، والحنين إلى الموطن الأصلي، وقد أتى به الشاعر عنواناً لديوانه «عودة النسور» كما أتى به عنواناً للقصيدة في ديوانه : «ويزهر السعد» رمزاً لتأكيد عودة الأبطال المدافعين عن أوطانهم ضد قوى البغي، يقول الشاعر[٢] : [الخفيف]

كنتُ فَرْخاً لكنني اليوم سِرْبٌ ... من نسور توّاقةٍ للرُّجوعِ

فإذا نادت الحبيبةُ نَسْراً ... فالملبّونَ ألفُ ألفِ سميع

وقد أتى الشاعر برمز الجياد والأمهار في قصيدة : «رسالة الخنساء» التي يقول فيها[٣] : [الكامل]

لا ضَيْر إنْ عثرتْ جيادكِ مَرّةً ... أيُّ الجياد سما عن الكبواتِ؟

لابُدّ للأمهار بعد عثارها ... أن تستعيدَ إمارة الحلباتِ

فرمز الجياد والأمهار في رؤية الشاعر يوحي بمعاني العزة والنخوة، والبطولة والفتح الإسلامي، والنصر، والحرية ورفض القيد والذل .

وهذا الرمز يعبر به الشاعر عن رؤيته للواقع من خلال مجموعة من الإسقاطات حيث إن رمز الجياد والأمهار عند شاعرنا يرمز إلى الفتوحات الإسلامية التي غيرت وجه التاريخ في العصور الأولى للإسلام، ومن ثم يحاول الشاعر إضاءة أبعاد الواقع المعاصر، وتشخيص آلامه، وسبل علاجه، بإعطاء المدلول الحقيقي لفعل الفروسية، باعتبارها استنقاذاً لوعي الأمة بقضاياها،

---

(١) مجلة الأدب الإسلامي، العدد ٩٩، (ص٤٦)، من مقال بعنوان: «التراث الإسلامي في شعر طاهر العتباني»، د. عادل إبراهيم عبد الله، ط ١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٢٦). النسر : طائر معروف يضرب به المثل في حدة البصر وطول العمر، قالوا: « أبصر من نسر » و« أعمر من نسر » . الحيوان في الشعر العربي ، حسن مصطفى حسن ، (ص٢٠٤، ٢٠٥)، ط١ دار المعراج الدولية للنشر ، الرياض .

وقد تأثر الشاعر بقصيدة « النسور» لمحمد إبراهيم أبي سنة .

(٣) المرجع السابق (ص٨٥).

وهجرة ما بها من حالة التراجع والركود والسكون إلى حالة التقدم والانبثاق .

فالرمز يجسد حاجة الأمة إلى بث الروح الثائرة الهادرة في نفوس أبنائها، لاستنهاض هممها، وتقوية عزائمها، وإيقاظها من رقادها، وتنبيهها من غفلتها، واستجاشة ضمائرها لرفع راية الإسلام بامتطاء صهوة الجياد ضد عدوها المتربص بها الدوائر .

ومن الرموز الكلية التي تصور لوحة قصصية كاملة قصيدة : «السنديانة» كما في قول الشاعر[١] : [الوافر]

شموخُ السنديانة للأعالي ... به فخرت على شُمّ الجبال

وعضّت بالصُّخور لها جذورٌ ... كأنياب الثعابين العصالِ

وتحت السنديانة سنبلات ... لوى أعناقَها فرطُ الهزالِ

أَضَرَّ بها احتجابُ الشَّمسِ عنها ... فأسلمها إلى داءٍ عُضَالِ

شكت للسنديانة ما براها ... وقالت : يا مُطيَّبَةَ الخصالَ

أمِيطي من غصونك ما علانا ... فإنا في حماك بضيق حال

دعينا نلق وجه الشمسِ يوماً ... فنسخو بالجمال وبالغلال

مطاوِلَةُ الجبال غلت وهاجت ... كليث الغاب في ساح القتال

«فالسنديانة» رمز لمن يبخل بخيره على الناس فيضيقون به ولا يكون له وجود بينهم ، واتخذ الشاعر منها معادلاً موضوعياً لنقد سياسة الوضع السياسي.

فرمز بالسنديانة للطغاة الجبارين في الأرض بغير الحق، وخص السنديانة لتدل على استطالة البغي والظلم، والباطل الضارب بجذوره في

---

(١) المرجع السابق (ص٤٣، ٤٤) .

السنديانة: شجرة من الأحراج، شم الجبال : شم الجبل شمماً: ارتفع، العصال: من عصل الشيء: اعوج في صلابة، المعجم الوسيط ٤٥٤، ط٤ . الشاعر إنما نسج قصة شعرية على غرار قصيدة : « التينة الحمقاء » لإيليا أبي ماضي .

الأرض، وتوحي بسياسة البطش والقهر والاستذلال للشعوب المستضعفة التي رمز إليها الشاعر بـ«السنبلات» لتدل على الضعف والوهن وعدم القدرة على الصمود أمام الأعاصير، فالقصيدة لوحة قصصية كاملة تعبر عن نهاية البغي والظلم، ومن ثم يبلغ الشاعر غاية التهديد والوعيد لهؤلاء الحكام بقوله:

فبينا يَشْمخُ الجبَّارُ تيهاً إذا هو رِمّةٌ في اللّحدِ بالي

ويطمع كل باغٍ في خُلودٍ وفي جنبيهِ أسبابُ الزّوالِ

حيث يختم الشاعر قصيدته بالحكمة التي تؤكد وتقرر عاقبة البغي الوخيمة، ونهاية الظالمين بالموت الذي يأخذ الله به الطغاة أخذ عزيز مقتدر، فينزلون به من سُدَّة الملك إلى وهدة القبر، ومن شموخ القصور إلى ضيق اللحود، فمصيرهم الموت والفناء المحتوم، ومن ثم تنفر اللوحة القصصية من عاقبة الظلم والظالمين وتبث روح الأمل والثقة في نصر الله .

فطأطأتِ السنابلُ سَاجداتٍ لربِّ العرشِ في صدقِ ابتهال

أغثنا يا رحيمُ فكلّ كرْبٍ بغوثٍ منك وهْمٌ من خيالِ

وجذعُ السِّنديانةِ مادَ حتّى هوت للأرض تدعو وا خبالي

ولم أعبأ بكيد الدهر حتى فُجعتُ بنخر لُبِّي واعْتلالي

فالشاعر - في رصده للواقع المظلم – لا ينسى أن يقدم لأبناء أمته سبيل العزة، وأسباب النصر بصدق الرجاء في الله واللجوء إليه في كشف الضر فهو المغيث لعباده المؤمنين (أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ) [١].

فالرمز الذي لجأ إليه الشاعر هو الرمز الشفيف الذي يعكس الواقع في رؤية فنية تنأى عن الغموض، وهو متنفس الشاعر للتعبير عن معايشته لهموم وطنه، وإعلاء روح المقاومة في نفوس أبناء أمته .

---

(١) من سورة النمل الآية رقم (٦٢) .

٣- مفهوم الشعر وغايته :

الشعر بمثابة الروح الشعرية التي تحمل رؤية الشاعر وتفيض بها مشاعره، وتلتحم بقضايا الحياة، وليس مجرد كلمات وحروف وأصوات غفل.

«ليست الكلمات في الشعر حروفاً وأصواتاً، وإنما هي كائنات تنبض بالحياة، وتلتحم ببعضها لتكون قادرة على حمل الروح الشعرية التي يبثها الشاعر وتفيض بها أعماقه» (١) .

ومعاناة شاعرنا لآلام أمته، ومعايشته لهمومها «مكنته من أن يوفر لشعره رصيداً كبيراً من تلك الروح، فكانت قصائده شعلة من كيانه، وكان كيانه إيقاعاً لقصائده، حتى التحم هذا بذاك محققاً درجات كبيرة من الالتزام الرؤيوي والفني على حد سواء» (٢) .

فشعر شاعرنا يفيض بالصدق الفني وهو الميزان الذي يوزن به تأثير الشعر في نفوس الناس، حيث إن افتقاد الشعر إلى هذا العنصر يحيله إلى نظم بارد، ورصف ميت خال من الشعور والوجدان .

ويبين الشاعر قيمة الشعر بقوله في قصيدة (٣): «شاهد الدهر» : [البسيط]

هَلْ تَذْكُرُ الشِّعرَ والــدُّنْيا تُــرَدِّدُهُ؟ لّمــا تَــدَفّقَ سِــحْراً في نَوادِيْنــا

أَلْوانُ طِيْبٍ تَــرَدَّتْ ثَــوْبَ قافِيــةٍ فَنَشْوَةُ الدَّهْرِ نَفْــحٌ مِــنْ قَوافِيْنَــا

فالشعر لدى شاعرنا باعث من بواعث السعادة، ونشوة الدهر قبس من قوافيه، بل هو السحر الحلال الذي يفعم النفوس ببيانه، ويأسر الوجدان بجمال صوره، ورحابة خياله، ونبل مقصده، والشاعر يستلهم قول النبي (صلى الله عليه وسلم): **«إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة»** (٤) .

والشعر عند شاعرنا هو الذي يمكنه من إخراج شحناته الانفعالية التي تزخر ببراكين الثورة والغضب، أو تبسم كابتسام الزهر في الربيع يقول الشاعر في

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٧) .

(٢) المرجع نفسه والصفحة ذاتها .

(٣) المرجع نفسه (ص١١) .

(٤) الحديث رواه البخاري في صحيحه (١٠٧/٧)، وفي الأدب المفرد (١٢٤، ١٢٥)، والترمذي في سننه، كتاب الأدب باب ما جاء إن من الشعر لحكمة، ج٤، (ص٢٨٤٤).

قصيدة: «أنت أنا» [١] : [مجزوء الكامل]

ذوّبـــــتُ قلـــــبي في ودادِكْ وذَرفـــتُ روحـــي في مـــدادكْ
وســـكبتُ حَـــرَّ مَـــواجعي وجـــراحَ قلـــبي في سُـــهادِكْ
ولكـــم رسمـــتُ بـــكَ الزُّهـــو رَ وكم شـــددت علـــى زنـــادكْ
ولكـــم بكيـــتُ فســـال دمـــ ـــعي فـــوق نحـــرِك أو وســـادِكْ
ومشـــى الربيـــعُ إذا بَسَمْـــ ـــتُ ليســـتريحَ علـــى مِهـــادِكْ
وَغَضـــبْتُ فانْتَفَضَـــتْ بَـــرا كِـــينُ الكَرامـــةِ في رَمـــادِكْ

فالشعر هو متنفس الشاعر للتعبير عن مختلف العواطف المتأججة والخواطر الجياشة، وهو سيف الحق المشروع لتمزيق أستار الظلم، وجهاد الباطل يقول الشاعر:

يـــا ســـيفَ حـــقٍّ مـــا اسْتَكَنْـــ ـــتَ ولا أوَيْـــتَ إلى نِجـــادِكْ

ورسالة شاعرنا أكبر من أن يكون شعره وسيلة للتملق والتمدح الزائف يقول[٢]:

لا أبتغي مدحَ الأنـــامِ ولَـــمْ أكُـــنْ أَرْجو لشـــكر صَـــنيعَتِي إنســـانا
فَمُعلِّـــمُ النـــاسِ المَكـــارِمَ أسْـــوَتِي هل كُنتُ آمُلُ فـــوق ذاكَ مكانـــا؟

وينأى شاعرنا بنفسه وبشعره عن الغزل بإثارة لذائذ الحس والشهوات، أو وصف الخمر، بل يجعل من شعره حارساً لأمته، ينشد لها الفضيلة ويحدوها للمكارم والعلا يقول الشاعر في قصيدة : «الخفير الثاني» [٣] : [الكامل]

أنا شاعِرٌ تَغْفُوْ النُّجُومُ على يَـــدِي تَهْوَى هَـــوايَ وَتَبْتَغِـــي رِضْـــوانِي

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٣٣) .
(٢) المرجع السابق (ص٦١).
(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٧٨، ٧٩)، والخفير: الحارس، المعجم الوسيط (٢٤٦).

تـــأبى عَلَـــيَّ كرامـــةٌ أُرْضِـــعْتُها ويَـــرُدُّني عـــن صـــبوةٍ إيمـــاني

وأُجِـــلّ قـــافِيَتِيْ وأُعْلِـــي قَـــدْرَها عَـــنْ أَنْ تَكُـــوْنَ لِخَمْـــرةٍ وقِيـــانِ

أوْقَفْتُ شِعْرِيَ عِنْدَ بابِكِ حارســاً يـــا أمَّتِـــي وأنـــا الخفيْـــرُ الثّـــاني

فرسالة شاعرنا إذن رسالة سامية تلك التي تجعل قضايا الأمة نصب أعينها، وفي مقدمة غاياتها وأهدافها .

الفصل الأول

الدراسة الموضوعية لهموم الوطن وقضاياه في ديوان : ويزهر السعد

ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول: الشعر الوطني .

المبحث الثاني : الشعر الاجتماعي .

المبحث الأول
الشعر الوطني

«الوطنية روح تتمثل في حب الوطن، والافتتان به، والعمل له، والذود عنه، والحفاظ عليه، تسري في النفوس فتحبب إليها البذل والفداء، والتضحية والإيثار، وترتفع بها إلى مصاف الأبرار، ومراتب الأبطال، حين يحز الوطن الضر، ويحيق به الشر، فتسترخص الدم الزكي يروي ثراه الحبيب، وتستعذب الشهادة رضية قريرة العين في غير منّ ولا خيلاء» [١] .

والوطن في شعر محمد توكلنا ليس هو مسقط رأسه ولا الأرض المحددة في حسابات الجغرافيا فحسب، بل البلاد العربية والإسلامية جميعها، ومن هنا يلحظ حضور شاعرنا الباهر في قضايا الأمة الإسلامية، وهمومها ومآسيها، ووقوفه الدائم في الأحداث راصداً، ومحللاً ومسجلاً، بعد أن تكالبت قوى الاستعمار الشرسة على الأقطار الإسلامية والعربية، وعاثت فيها تخريباً، وقتلاً وتشريداً .

فقد مضى الشاعر يذكر بقضية فلسطين قضية الأمة جميعاً، ولا يعرف قضية شغل بها الشعر الإسلامي الحديث، بل الشعر العربي كله، مثلما شغل بقضية فلسطين، ومن هنا نجد الوجدان الإسلامي العربي المشترك لأمتنا العربية فيما تتجاوب به من أفراح وأتراح، ومن رضا أو سخط ومن اطمئنان أو قلق [٢].

وقد دار حديث الشاعر في هذا الغرض حول محورين :

المحور الأول: الحنين إلى الوطن .

والمحور الثاني: قضايا الوطن .

---

(١) دراسات أدبية، د. عمر الدسوقي، ج١، (ص١١٩)، مكتبة الأنجلو، نهضة مصر، الفجالة.

(٢) يراجع القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث، (ص٢١٧)، والقومية العربية في الشعر الحديث، د. أحمد الحوفي (ص١٥٧)، دار نهضة مصر، القاهرة، وقضايا حول الشعر، د. عبده بدوي، ج١، (ص٢٥٠)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢م.

المحور الأول: الحنين إلى الوطن :

في البعاد عن الوطن ألم ممض، ولوعة محرقة، يشعر الإنسان بتوقف دورات الزمن، فتطول الساعات فضلاً عن الأيام والشهور، التي تصبح سنين ثقيلة المرور في ظل الوحدة والفراق .

والحنين إلى الوطن من علامات رشد الإنسان، وجزء من إدراكه «قالت العجم: من علامات الرشد أن تكون النفس إلى مولدها مشتاقة، وإلى مسقط رأسها تواقة»[١].

وشاعرنا أحب وطنه حباً ملك عليه شغاف قلبه، وذاق ألم الغربة لفراق وطنه مما أثار كوامن الحنين والشوق إلى وطنه، وكانت قصيدته «عودة النسور» مصورة لهذا الغرض الذي يسمو بعواطف الشاعر نحو آفاق الشعر الوجداني .

وجاء التعبير المصدر «عودة النسور» موحياً بما يتركز في بؤرة شعور الشاعر، حاملاً نبضه وأنات قلبه في تمني العودة إلى الوطن والتحقق الكامل بالرجوع إلى بلاده .

يقول الشاعر منادياً وطنه البعيد في حسابات الجغرافيا والمساحات القريب إلى نفسه وفؤاده : [الخفيف]

حبّة القلبِ كمْ أضأتُ شموعي ... ثم أطفأتُها بهَمْر دموعي [٢]

واستبدت بالقلب جمرةُ شوقٍ ... فهْو لهفانُ لاهبٌ في ضلوعي

يا رُبوعاً مهماً تناءيت عنها ... يتنامى وجدي بها وولوعي

يَعْتريني عبيرها مثل أمٍّ ... يعتري حبها كيان الرضيعِ

أنا آتٍ ولو تعرَّجَ دَرْبي ... فدليلي أنفاسُ تلك الربوعِ

لا تشكّي حبيبتي بإيابي ... وارصديني فقد نشرتُ قلوعي

وعلى مُرْسِلِ الرياح اعتمادي ... فأطيعي يا ريح أو لا تطيعي

---

(١) الحنين إلى الأوطان، الجاحظ، (ص٨)، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ١٩٨٢م.

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٢٥) .

أنـــا آتٍ بـــرغم عُمـــقِ جِراحـــي وحصاري وبُعْـــد داري وجـــوعي

ورفاقي صـــبري ومِفْتـــاحُ بَـــيْتي وحـــــنين المُشَـــــرَّدِ المفْجُـــــوعِ

يبث الشاعر شوقه وحنينه إلى وطنه فيناديه بحبة الفؤاد، ويقول: إن جذوة الفراق لوطنه ما زالت متقدة بالنار التي لم يطفئها سوى دموعه الغزيرة .

وتبلغ عاطفة الشاعر ذروتها فينادي وطنه نداءاً حاراً شفيفاً يدل على صدق العاطفة وتوهج الشعور، فربوع وطنه مهما تباعد عنها تسكن حنايا قلبه، ويحن إليها حنين الرضيع لحضن أمه، ويُمنّي الشاعر نفسه بالعودة إلى بلاده الحبيبة، حتى وإن تعسّر دربه، فدليله في الرجوع إليها إيمانه بربه وثقته بعونه، ورفاقه في تلك الرحلة صبره، ومفتاح بيته، وحنينه الدائم إلى نسائم أنفاس ربوع وطنه الغالي.

فالألفاظ تلائم تجربة الشاعر وتوحي بالجو النفسي الذي يعانق تجربة الغربة والحنين مثل : [حبه القلب، جمرة شوق، لهفان لاهب في ضلوعي، وجدي، ولوعي، مثل أُمٍّ، حبيبتي، حنين المشرد المفجوع] .

وقد رمز الشاعر بعنوان القصيدة «عودة النسور» إلى الأبطال المدافعين، فالنسر وهو طائر معروف يضرب به المثل في القوة : «إن البغاث بأرضنا يستنسر، أي إن الضعيف يصير قوياً»[١] .

المحور الثاني: قضايا الوطن :

هذا المحور يتضمن الرصد للواقع المظلم، واستنهاض أبناء الأمة للثورة على هذا الواقع المزري وتغييره، والتمسك بأسباب النصر، وفي مقدمتها: العودة إلى دين الله، والجهاد ضد الظلم والاستعباد، لتنسم عبير الحرية، ورحيق العدل .

فلم يقف الشاعر عند التغني بحب وطنه ومناجاته فحسب، ولكنه عبر عن أحداث الواقع وما يسود بلاده من ظلم وبغي من قبل السلطة الحاكمة التي تمارس سياسة البطش والتهجير لأبناء الوطن ظلماً وعدواناً بالرغم من كونهم أصحاب البلاد الحقيقيين، وتراب أجدادهم متأصل كالجذر الثابت في الأرض الذي لا يقوى على اقتلاعه نوائب الزمان .

---

(١) لسان العرب، ٥٣٣/٨ .

والشاعر ليس فرداً في مأساته بل يشاركه في تلك المأساة أبناء وطنه فهم كالنسور التواقة للرجوع إلى موطنها الأصلي، يقدمون أرواحهم فداءً لوطنهم، فالشاعر يبث الروح الثائرة الهادرة في أبناء بلاده للوقوف في وجه البغي والظلم، فبالجهاد سوف تلبس بلاده أثواب الربيع الزاهية بعدما حل بها من دمار وخراب على أيدي حاكمها المتغطرس، الذي ينال من المسلمين ودينهم لانتمائه الشيعي المتطرف . يقول الشاعر ملخصًا مأساة بلاده [١] :

لليُتْمِ والثّكْل والإمــلاق أسْــلمنا مُسْتكبرٌ ليس يَرْعــى ذمــةً فينــا

ويبلغ الشاعر غاية التهديد والوعيد لهذا الحاكم الباغي، فبغيه كقلعة من رمال لن تدوم، ولن تصمد أمام الأبطال المجاهدين الذين يلبون نداء بلادهم الحبيبة لنصرتها، فهم كالشمس المنيرة التي تؤذن بانقشاع الظلمة يقول الشاعر[٢] : [الخفيف]

في تراب الأجدادِ جــذري مُقــيمٌ وَنَمتْ في أرضِ الشَّــتات فروعــي
كنتٌ فرخاً لكنني اليــوم سِــرْبٌ مــن نُســورٍ توَّاقــةٍ للرُّجــوعِ
فــإذا نــادت الحبيبــةُ نَسْــراً فــالملبّون ألــفُ ألــفِ سميــع
يُرْخِصونَ الأرواحَ في نيــلِ نصْــرٍ قلّدتْــهُ الآلامُ تــاجَ نُصــوع
لَبِســوا حُلّــةَ الجهــادِ وجــاؤوا فالْبِســي للِّقــاءِ ثــوبَ الربيــع
وتَحــدّي بهــم سَــوادَ الليــالي فهُمُ الشَّــمسُ آذنــتْ بطلــوعِ
إنمــا الْبَغْــيُ قلعــةٌ فــوقَ رمــلٍ تُــوهمُ المحتمــي بــركنٍ منيــع
نام جفن الزمــان عنــها فغالــت تزدهــي وهــي آيــةٌ للوقــوع
فاطْربي للجمــوع تُزجــي المنايــا وهي تهوى أمــام تلــك الجمــوع

فشاعرنا يدرك مأساة بلاده، ولم يرقبها من برجه العاجيّ، بل أدى دوره

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص١٣).
(٢) المرجع السابق (ص٢٦) .

بصدق، وتجاوب مع الواقع، وتفاعل مع الأحداث، مما يدل على الروح الوطنية الصادقة مشاركته لأبناء وطنه في قضيتهم الراهنة، وبثه روح الثورة والجهاد ضد الحاكم الباغي.

فمهمة الشاعر نحو أمته رفع الأحجبة التي تحجب أنوار الحرية وأشعة العدالة، والجهاد بالكلمات والأشعار التي تثير في النفوس روح الإقدام والتضحية لهدم أسوار الظلم واليأس.

وجاءت صور الشاعر وألفاظه موحية بالجو النفسي، مصورة لحقائق الوجدان وانفعالاته بحيث لا يدري القارئ أيقرأ قصيدة مسطورة أم يشاهد صوراً ومناظراً، ولهذا الأسلوب أثره في تمكين المعنى واستقراره في نفس القارئ أو السامع.

فما أجمل تصوير الشاعر لنفسه بالجذر الضارب في أعماق الأرض الممتد في تراب الأجداد، وتصويره الوطن بالأم الحبيبة التي تنادي الأبطال لحمايتها، والنصر بتاج قلدته الآلام، والبغي بقلعة هشة فوق الرمال تنهال فوق رؤوس الباغين، والأبطال المجاهدين بالشمس التي تمحو الظلمة وتسقط عروش الظالمين.

ويقف شاعرنا أمام قضية «القدس» قلب العروبة وجسدها المجتث، فيوازن بين ماضيها وحاضرها؛ ماضيها الزاخر بالأمجاد والبطولات، وحاضرها الأليم الرازح تحت وطأة الاحتلال وعربدة الصهاينة، وعيثهم بالمسلمين وبلاد الإسلام قتلاً وتشريداً، مستصرخاً ضمائر أمة الإسلام لاستنقاذ الأقصى من أيدي اليهود، والانتقام لإخوانهم المستضعفين من شراذم الأرض الذين يسعون في الأرض فساداً.

يقول الشاعر في قصيدة : «منائر القدس» [١] : [البسيط]

منائرَ القدسِ قلبي بالحمى وَقَفَا ... دعاه شوقٌ إلى المحراب فاعتكفا

إذا تجلّى له الأمسُ انتشى طرباً ... فيبعث الحاضرُ الدَّاجي به أسفا

يودُّ لو أنَ شمسَ الأمسِ ما أَفَلَتْ ... أو أنّ ليل الأسى عن دربه انحرفا

هنا تلا جَدّهُ الفاروق عُهْدتهُ ... في إيلياءَ يَبُثّ الأمْنَ والنَّصفا

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٢٩ـ ٣٠)، الحمى: موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى ، والحمى: الوطن يحميه أهله [المعجم الكبير للطبراني ٧٤٥/٥ – ٧٤٦].

أقصيتَ مُغْتصِبَ الأقصى وصُـــنْتَ مَجداً فجازَوْكَ سُوءَ الكَيْلِ والخَشَفا

قُمْ واشْهَدِ اليومَ أقصانا تَعيثُ بِـــهِ شَـــراذِمٌ زادَهـــا تفريطُنـــا صَـــلَفا

أرانبُ اسْتَأْسَدتْ واشْتدَّ مِخْلَبُهـــا لّما سَدَلنا علـــى أحـــداقِنا سُـــجُفا

جُحورُها زَلْزلتْ أركانَ مســـجِدِنا وهاتفُ المـــوتِ في أسماعِـــهِ هَتَفـــا

فالشاعر في رصده لمأساة الأقصى يستدعي شخصية الفاروق (رضي الله عنه) لإبراز حدة التناقض بين ماضينا وحاضرنا، لا ليبث اليأس بل ليزيل روح الهزيمة، ويمحو أثرها من النفوس، وإثارة مشاعر الثورة والغضب في النفوس المسلمة إزاء ما يرتكبه اليهود من مجازر، ومن ثم إدانة الغدر الصهيوني، والكشف عن مخططات اليهود لاغتصاب أرض الإسلام، واغتيال السلام، وزلزلة أركان المسجد الأقصى بالحفريات التي يقومون بها .

فتصوير الواقع المظلم ليس للركون إليه، وإنما لتجاوزه بالجهاد الذي فرض على أمة الإسلام لحماية وجودها وأمنها من القهر والفناء، وإذا كان الشاعر يدين الغدر الصهيوني فإدانته للصمت العربي أشدّ، فيهود العصر الحديث هم امتداد ليهود بني قريظة في الغدر وخلف الوعد، لكن مما يدمي القلوب ويفتت الأكباد، تواطؤ أمة الإسلام وحكام العرب بالصمت المزري إزاء مجازر اليهود أعداء الله والإسلام يقول الشاعر [١] :

والأهل في القدس أكبـــادٌ مقَرحـــةٌ شـــريانهم بمُـــدى إخـــوانهم نزفـــا

كؤوسُ إخوانهم بالسَّـــعد مترعـــةٌ وكأسهم تنضح اللأواء والشّـــظفا

ويبث شاعرنا بارقة الأمل في النفوس المؤمنة، فيقدم لها سبيل الخلاص من معاناتها، بالتماس النهج الظافر الذي سلكه أبطال الإسلام الأوائل في الجهاد في سبيل الله ونصرة دينه، فيقول في قصيدة «منائر القدس» [٢] : [البسيط]

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٣٠)، بمدى: جمع المدية وهي السكين، واللأواء: الشدة وضيق المعيشة، لسان العرب ١١/٨ .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٣٠) .

لكنَّ فينـــا سُـــيوفاً مُنـــذُ نشـــأتها لم تـــأْوِ يَوْمـــاً إلى أَغْمادهـــا أَنَفَـــا
يعنو لها الكون إجلالاً وقد رسختْ كالطّود ما لان للإعصار ما عصـــفا
وأمةٌ نَسْـــلُها في أَمْســـها شُـــهُبٌ لن تَعدم اليوم أرحامـــاً ولا نُطفـــا
بعينننـــا ســـنرى في كـــلِّ ناحيـــةٍ لكل نَجمٍ هـــوى في أُفقنـــا خلفَـــا

يقول: إن أمة الإسلام لن تعدم أبطالها المدافعين عنها الذين هم كالجبال الصامدة التي لم ينل منها إعصار، وسيوفهم دائماً مشرعة مشهرة في وجوه أعدائها ولم تأو يوماً إلى أغمادها وكما أنار السلف ماضينا بالأمجاد فكانوا مناراتٍ وشهباً، سيضيء الخلف حاضرنا باستعادة تلك الأمجاد والبطولات .

وجاءت ألفاظ الشاعر قوية جزلة واضحة ملائمة للمعنى جياشة بالعاطفة الصادقة فألفاظ : [أقصانا ـ تفريطنا ـ أحداقنا ـ سدلنا ـ مسجدنا ـ فينا ـ بعيننا] جاءت بنون الجمع لإشعار كل مسلم بأن الأقصى وطنه المأسور الذي يجب عليه افتداؤه بكل غال ونفيس، ولأنه يخاطب الأمة جمعاء.

ولم يقف اهتمام الشاعر عند ألفاظه وإنما اهتم بأساليبه وعباراته فخرجت أساليبه قوية وعباراته رصينة أعانته على بث مشاعره وأحاسيسه تصويراً جيداً كقوله : [أقصيت مغتصب الأقصى، قم واشهد اليوم أقصانا تعيث به، أرانب استأسدت واشتد مخلبها] .

وجاءت صور الشاعر الجزئية مصورة لمشاعر السخط والغضب مثل قوله :

والأهل في القدس أكبـــادٌ مقرّحـــةٌ شـــريانهم بمـــدى إخـــوانهم نزفـــا
كؤوسُ إخوانهم بالسَّـــعد مترعـــةٌ وكأسهم تنضح اللأواء والشّـــظفا

فالكناية في البيت الأول تصور الصمت المزري بأمة الإسلام بسكين يقطع شريان إخواننا في فلسطين، تصويراً يُنفر من حالة الذلة والسكون والركون، ويدفع المسلم إلى اتخاذ موقف إيجابي بالثورة والرفض وعدم الإقرار لليهود بما يفعلون أو يريدون .

والمقابلة في البيت الثاني تؤكد المعنى وتقرره في ذهن السامع وتبين حدة التناقض والمفارقة بين واقع المسلمين في فلسطين المحتلة من بؤس وفقر وقتل

وضياع، وواقع المسلمين في بلاد الإسلام الأخرى التي لا تعاني من ظلم الأسر واضطهاد المحتل الغاصب للأرض والعرض والكرامة والحريات .

وشاعرنا حريص على أمته، يؤلمه فرقتها وتخاذلها، فيقارن بين واقع المسلمين المرير، وماضيهم الزاهر .

ويرجع مأساة أمته إلى سياسة الحكام الظالمين الذين يجعلون من أنفسهم أرباباً لشعوبهم، ويعترفون بالعدو الغاصب لبلاد المسلمين حفاظاً على عروشهم، ومن ثم يصب الشاعر جام غضبه عليهم، مستنهضاً عزائم الأمة للجهاد والثورة دفاعاً عن إيمانهم ومقدساتهم فيقول في قصيدة «شاهد الدهر» [1] : [البسيط]

لهفي على أُمّـةٍ كانـت موحـدةً ... أرضـاً وشـعباً وإيمانـاً وتكوينـا

وتنسِبُونَ إلى الإنصـافِ أن ثَبُـوا ... شراذمَ الأرض حقـاً في أراضـينا

وإنْ دُعيتُمْ إلى جُودٍ بمـا مَلكـتْ ... أَكُفّكـمْ تبـذلوا بـذل المقلّينـا

ولا تجـودونَ إلاّ عنـد مصـلحةٍ ... تبغُونَ في جَلْبـها منعـاً وتقنينـا

وَكَفّكُمْ في النّدى من مـال أمتنـا ... كباسطٍ كفّهُ مـن مـالِ قارونـا

وتصْنَعُونَ عروشـاً فوقهـا لُعَـبٌ ... صُـمٌّ لِيَنْتصـبُوا فينـا فراعينـا

لا تحسبوا مُقْلـة التـاريخ غافلـةً ... أو الشُّعوبَ على الإذلالِ مُغْضـينا

فجذوةُ الحـقِّ والإيمـانِ في دَمِنـا ... سَتُضرمُ الأرضَ بالبـاغي براكينـا

ويُزْهِرُ السَّعْدُ في الدُّنيا على يـدنا ... سعادةُ الخلقِ مِـنْ أغلـى أمانينـا

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص١٤، ١٥) .

المبحث الثاني
الشعر الاجتماعي

الإصلاح الاجتماعي مطلب إسلامي، وإسهام الشاعر في الإصلاح من خلال تصور إسلامي مقتضى لا محيد عنه، إذ لابد من أن يقدّم لأمته ومجتمعه ما تتطلع إليه، وليس هناك أهم من الحمل على المفاسد، والتواصي بالبر، وتحمل عبء الدعوة إلى الطريق السوي .

ولشاعرنا مشاركاته الشعرية في هذا المجال، وله وقفات كثيرة من الأدواء التي تفشت في مجتمعنا الإسلامي، رغبة في إيجاد مجتمع مثالي، يستمد مثاليته من عقيدة الإسلام .

فمن ذلك قوله في قصيدته : «دموع الحجارة» [١] : [البسيط]

والنَّاسُ في الفُلْكِ أَلْوانٌ مذاهِبُها ... وكلّ ساعٍ لهُ في نَهْجِهِ أَرَبُ

فشاعِرٌ فاضَ نَبْعُ السِّحْرِ في يدِهِ ... فمِنْ قَوافيهِ أَطْيَافُ الهَوى تَثِبُ

ومُدْنَفٌ حارَ في إرضاءِ فاتنةٍ ... وحَظُّهُ مِنْ هواها الصَّدُّ والْعَتَبُ

ومُسْتهامٌ بكأسٍ لا يُبَارحُها ... ولا يَرى غيرها في الأرضِ يُصْطَحبُ

وتاجِرٌ كُلّما أَحْصَى مَكاسِبَهُ ... أغراهُ بالعَدِّ وهْمٌ ماله سَبَبُ

وعابدٌ قامَ في المحْرابِ مُبْتَهلاً ... لم يَثْنِهِ عن هَوى مَعْبُودِهِ نَصَبُ

وأَقْبلتْ في جناحِ الليلِ حاقِدةٌ ... تَرْعَى ذئاباً فَرَى أكبادها سَغَبُ

يعدد الشاعر أصناف الناس ومذاهبهم في الحياة الدنيا، وينعي عليهم انشغالهم فيها بتحقيق مآربهم، محذراً من الدنيا وخداعها الزائف، الذي يجرف الإنسان بعيداً عن تحقيق الغاية من الوجود .

والنماذج التي قدمها الشاعر لأصناف الناس في الحياة، نماذج حية واقعية

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٧١) ـ الفلك: السفينة، والمراد الدنيا، أرب : الحاجة والبغية، المدنف: المريض الذي أدنفه المرض أي أهلكه، فرى: شقه وقطعه، المرجع السابق (ص٩٢، ٩٣) . سغب : الجوع مع تعب [المعجم الوسيط ٤٣٢] .

نراها في كل زمان ومكان، من صورة الشاعر الذي يفيض البيان العذب في شعره، والمحب العاشق الذي أضناه الحب في هوى محبوبته، وصاحب الكأس الذي لا يبارح السكر والشراب، والتاجر المولع بعدّ مكاسبه، وفي مقابل تلك النماذج يقدم لنا الشاعر صورة مناقضة تماماً لتلك النماذج المتعلقة بتحقيق المآرب الدنيوية فحسب، وهي صورة العابد القائم الذي لم يصرفه شيء عن التعلق بالإله والشاعر بتقديمه لهذا النموذج الإيجابي في مقابل النماذج الأخرى كأنه يقول للسامعين : هاكم هي كل النماذج فوازنوا واختاروا .

ومن القضايا الاجتماعية التي تناولها الشاعر في شعره قضية الفقر يقول في قصيدة : «إلا ما سعى»[1] : [الكامل]

سَغَبٌ كَوَى أحشاءَهُ فتجمَّعا ... وجَثَا إلى جنبِ الطّريق مُضَعْضَعَا

لونُ الحياة نأى وفارقَ وجْهَهُ ... فكأنَّهُ من قبره قد أُطْلِعَا

والموت همَّ به وجرَّد سيفَهُ ... للفتكِ لكنَّ القضاءَ تشفّعا

والناسُ أشتاتٌ فأعمى مُبْصرٌ ... أَحْرى به ألا يرى أو يَسْمعا

صرفتهُ عن سُبُلِ المكارم شهوةٌ ... يجري على آثارها مُتَتبعا

أو عابدٌ للمال أوكى كيسه ... يَنْهاهُ خوفُ الفقر أن يتبرَّعا

أو مترفٌ ملأ الغرورُ ثيابَهُ ... ينحازُ عن دربِ الفقيرِ ترفّعا

يقدم الشاعر صورة واقعية للفقير الذي يعاني ألم الجوع والتشرد، حتى أوشك الموت أن يصرعه، وينعى على الناس تغافلهم عنه، فهم عُمْيُ القلوب، لا ترق مشاعرهم للبؤس الذي يلعقه الفقير .

ويقدم الشاعر صوراً منفرة تفيض بالنقد اللاذع للأغنياء الممسكين عن الإنفاق فهم عمي وصم، لا يهبون لنجدة محتاج، أو تحقيق مكرمة، بل ينصرفون إلى تحقيق نزواتهم.

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص١٩)، أشتات: متفرقون، أوكى: ربط [المرجع السابق، ص٩٢].

وهم عبيد للمال بخلاء يخشون الفقر، وهم ينأون عن الفقير ترفعاً وغروراً وكبراً .

ويأتي الشاعر بالحكمة التي تؤكد على معنى الجود والإيثار فيقول[١]:

[الكامل]

إني رأيتُ المالَ ذُلاّ للفتى ... إن كانَ غايةَ هِمِّه أَنْ يَجْمعا

ورأيتُ عِزَّ الدَّهْرِ فيه لمحسنٍ ... يَسْعى دؤوباً في الحياةِ لينفعا

وعرفتُ أخلاقَ الكرام فلم أجدْ ... أحد الكرام عن السماحة أقلعا

والمالُ عاريةٌ ونحنُ خلائفٌ ... سنحولُ عنهُ إذا المنادي أَسْمَعا

والله بالنَّعماء يبلو عبده ... ماذا عساه بمالِه أن يصنعا

«يا أيُّها الإنسانُ إنك كادحٌ» ... ما كان سعيُكَ في السَّماءِ مُضيَّعا

يحث الشاعر أبناء مجتمعه ويرشدهم إلى فضيلة التكافل وإنفاق المال على الفقراء، فَعزّ الدارين للمحسن، أما البخيل فلا ينال إلا الذل، والحساب العسير في الآخرة، فالمال مال الله، والغني موكل عليه، وهو عارية لابد أن تسترد يوم انقضاء الأجل، ولا ينفع الإنسان إلا ما قدم، فما من سعي ضائع أبداً في الآخرة، بل سيجازي كل إنسان بما قدم في دنياه لآخرته .

ويبين الشاعر خطر الفقر وأثره على الفرد والمجتمع فيقول[٢] :

والفقرُ إنْ يترلْ بساحةِ مَعْشرٍ ... يفتحْ إلى الفحشاءِ باباً مُشْرعاً

فمذلّةُ الحاجاتِ تجعل ربَّها ... لنوازعِ الآثامِ عبداً طيِّعا

والشاعر يصور الفقر بإنسان ينزل ويقيم ليفتح أبواب الشر والرذيلة.

فالبيت الثاني استئناف بياني مسبب عن مضمون البيت الأول، وفيه أيضاً محسن بديعي وهو «حسن التعليل» فمذلة الفقر تدفع صاحبها لنوازع الفحشاء

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٢١) .

(٢) المرجع السابق (ص٢٠) .

والآثام والصورة تحض على معنى التكافل الاجتماعي الذي حثَّ عليه الإسلام، وتحرك المشاعر، وتستثير النفوس نحو الفقراء، والشاعر عالج قضية الفقر بالنصح تارة، وبالسخرية والنقد اللاذع لمواقف الأغنياء الممسكين تارة أخرى .

وبالمفارقة التصويرية بين مواقف الكرماء ومدحهم، والحريصين على الدنيا وذمهم، وبالتذكير بعاقبة البذل، وعاقبة المنع في الآخرة، وبتصوير حياة الفقراء وما يعانونه من شظف وبؤس، وحياة الأغنياء وما يحيونه من ترف وبذخ تصويراً يفيض بمرارة الواقع، ويوحي بغلظة القلوب، حتى لكأن الشاعر لا ينظم ألفاظاً وعبارات بل يرسم صوراً وأشخاصاً .

ومن الموضوعات التي تناولها الشاعر في شعره الاجتماعي، موضوع «الخمر» حاثاً الشباب المسلم على التمسك بقيم الإسلام في تحريم كل ما من شأنه أن يحجب العقل عن وظيفته في التفكير والتأمل فيقول في قصيدة «الخمر»[1] : [الكامل]

سبحان مَنْ قد بَرَا نفساً فسوّاها ... فُجُورُها منهُ إلهامٌ وتقواها

وأوْدعَ العقلَ فيها من بدائعهِ ... لولاه لم تعرف العُبّادُ مولاها

لولاهُ ما شُغِلتْ نفسٌ بِمكْرمةٍ ... أو لارْتضت نهج شيطانٍ فأغواها

والنّفسُ إنْ عطّلتْ عقلاً تعزّ به ... ضلّتْ مراكبُها والجهلُ أعْماها

لا بارك الله في كأسٍ معتّقةٍ ... لما غدا العقلُ من أشقى ضحاياها

أمّ الخبائث يا تعْساً لعاصِرِها ... وتاجرٍ رزْقه من جُرح قتلاها

لو لم تكن خَبَثاً ما قَاءَ شاربُها ... وخانهُ رشده لمّا تحسَّاها

كأنه وهو ماضٍ في ترنُّحهِ ... سفينةٌ ضلّ مجراها ومُرْساها

فالشاعر لا يقف موقف المشاهد السلبي، أو يطل من برج عاجيّ على ما

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٦٥)، برا: أصلها برأ، وبرأ الله الخلق: خلقهم، والخبث : النجس . المرجع السابق (ص٩٢).

يتهدد مجتمعه، بل يجعل من شعره «كابحاً لما يراه من معايب» [١] .

فيبين خطر الخمر الذي يتعدى الفرد إلى المجتمع كله، بالتأمل في نعم الله على عباده، وفي مقدمتها نعمة العقل الذي يهدي الأنفس فتفلح بالتقوى، أو يضلها فتزل وتشقى، فبالعقل عرف الإنسان ربه، وبه تجنب غواية الشياطين، ومن ثم يحرم على الإنسان تعطيله بمسكر وينعى الشاعر وينددد بمن يعطّلون عقولهم بشرب الخمر أم الخبائث، فيعرض صوراً منفرة تنأى بالمتلقي عن الإقدام على هذا الفعل المحرم .

فشاربها يقيء من خبث ما شربه، وهو في هيئة ترنّحه وسكره كالسفينة التي ضلَّ مجراها ومرساها، والصورة قائمة على التشبيه للعقل بربّان السفينة الذي يوجه سيرها فإذا غُيّب العقل، اضطربت النفس واختل توازنها؛ لأن العقل رائد النفس .

ومن الموضوعات التي تناولها الشاعر في شعره الاجتماعي، موضوع السفور والتبرج وخداع المرأة بلقب العصرية والمتحضرة، بالتقليد الأعمى للمدنية الوافدة التي سلبت عقول الكثير، ونالت استحسانهم، فانجرفوا في متاهاتها، ساعين وراء زخرفها الزائف، متحللين من القيم الثوابت التي أرستها تعاليم ديننا الحنيف غير آبهين بما قد يترتب على ذلك التحلل من عواقب وخيمة تتجاوز الفرد إلى المجتمع، والمجتمع إلى الأمة يقول الشاعر في قصيدة : «وهكذا دواليك» [٢] : [المتقارب]

حُماةُ المهاةِ أتوا مَهْدها سِراعاً لكي يخطبوا وُدَّها

وغالَوْا بفيض ثناءٍ على مفاتن قد ينعتْ عِنْدها

فيا سِحْرَ فيهَا ويا بَرْدهُ ويا مُقْلَتيْها ويا خَدَّها

---

(١) دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف (ص٦٢)، ط٦، دار المعارف .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٣٧، ٣٨)، المهاة: بقرة الوحش سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالبلورة والدّرّة، فإذا شبهت المرأة بالمهاة في البياض فإنما يعني بها البلورة أو الدرة . [لسان العرب ٣٩٤/٨] وهذا هو المراد .

وأسْدَوْا لهـا نُصْـحَهُمْ أن تُبـيح لمـن شـاء أن يَجْـتني شُـهْدها

أيختبئُ الحسـنُ خلـفَ السُّـتورِ وتُخفي ريـاضُ الرُّبـا وَرْدهـا؟

ولـمّا أزاحـت لهـم سِـتْرَهَا ومـا منعـت وارداً وِرْدَهَـا

فلـذّتْ بهـا أعـينٌ نهمـةٌ وأفئـدةٌ أبـردت وَقْـدَها

وكـم ريشـةٍ صَـوّرت عُريهـا وبـاهى بهـا راسـمٌ وازْدهـى

وصـيغت أسـاطيرُ في وصـفها أطـالَ دُعـاةُ الهـوى سَـرْدها

فالشاعر يصور بالأسلوب القصصي الخداع والزيف الذي يزيّنه دعاة التحضر للفتاة المسلمة لنزع طهرها وعفافها، بالسّفور والتبرج والسقوط في بؤرة الرذيلة والضياع .

والشاعر بذلك يتجاوب مع قضايا مجتمعه ويأخذ بأيدي مجتمعه إلى كل فضيلة بهذا النقد الذي يقدمه، فلم يغض الطرف عن سلبيات الفئة المضللة التي تستهدف المرأة المسلمة، التي أحاطها الإسلام بهالة من العفة والوقار، وكما قال القدماء : «وبضدها تتميز الأشياء»، فكأن الشاعر يقول للمتلقي : هذا هو النموذج السيئ فوازن واخْتَرْ وهو بذلك لا يصور ما هو كائن، بقدر ما يصور ما ينبغي أن يكون عليه مجتمعه من مثل وفضائل .

الفصل الثاني
الدراسة الفنية

ويشتمل على ستة مباحث

المبحث الأول : الألفاظ والأساليب

المبحث الثاني: المعاني والأفكار

المبحث الثالث: الصورة الشعرية

المبحث الرابع : التجربة الشعرية

المبحث الخامس: الوحدة العضوية

المبحث السادس: الموسيقى الشعرية

المبحث الأول
الألفاظ والأساليب

إن استعمال الكلمة في موضعها المناسب هو أول خطوة في تكوين الجملة التي يتكون منها النص الأدبي عامة والشعر خاصة، فاللفظ هو «القالب الذي يصب الشاعر فيه معانيه ومشاعره» [١]، والشاعر الفذ هو الذي يختار ألفاظه بدقة وعناية، بأن يضع اللفظ في مكانه الملائم للمعنى بحيث لا يستطيع أن يقوم لفظ آخر مكانه .

وإذا ما نظرنا في ألفاظ الشاعر نجدها تتميز بالدقة والوضوح حيث استخدم الشاعر الألفاظ الملائمة لكل تجربة من تجاربه، حيث إنه لا انفصال بين الشكل والمضمون بل هما مترابطان أشد ما يكون الترابط «من حيث إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني » [٢] .

فنراه في ميدان الشعر الوطني تتسم لغته بالجزالة والقوة والرصانة يقول في قصيدة : «شاهد الدهر» : [البسيط]

لهفى على أُمّــةٍ كانــت موحَّــدةً أرضــاً وشــعباً وإيمانــاً وتكوينــاً

فرحتُمو تقسمون الأرض بينكمــو مبقين ما شــئتمو منــها ومهــدينا

وتنسبون إلى الإنصــاف أن تهبــوا شراذمَ الأرض حقــاً في أراضــينا

وتصنعون عروشــاً فوقهــا لُعَــبٌ صُــمٌّ لينتصــبوا فينــا فراعينــا

لا تحسبوا مقلــة التــاريخ غافلــةً أو الشعوب على الإذلال مُغْضِــينَا

فجذوة الحــق والإيمــان في دمنــا ستضرم الأرض بالبــاغي براكينــا

فالشاعر يجعل من شعره محفزاً لأمته لتحقيق الوحدة والعزة في أرض الإسلام، فإذا كانت السياسات قد فرقتهم، فأحرى أن توحدهم الكلمات، ومن ثم

---

(١) أبعاد التجربة الشعرية في شعر د. صابر عبد الدايم، تأليف د. صادق على حبيب، (ص١٠٧)، دار الأرقم بالزقازيق، ١٤١٢هـ / ١٩٩٣م .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، (ص١٧٧)، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م .

نجد الألفاظ القوية التي تمثل هجوماً عنيفاً على الواقع المهترئ الذي انحدرت إليه أمة الإسلام بسبب سياسة الحكام الظالمين، من خلال تلك المقارنة بين الماضي الزاهر بالأمجاد، والحاضر المظلم بالفرقة والشتات .

فيوحي لفظ «لهفى» بالتحسر على زوال المجد الإسلامي، وشدة التمني لاسترجاعه، ويوحي لفظ «أمة» : بأن الشاعر يخاطب ضمائر المسلمين ووجدانهم في كل زمان ومكان لا شعباً معيناً، فمراد الشاعر استنقاذ الأمة بأسرها من تشرذمها.

ويوحي لفظ «كانت» باستحضار الصورة الماضية، فالشاعر يرثي زوال المجد الإسلامي التليد، باثاً الحمية في النفوس لاسترجاعه، لما يفيده التعبير بالماضي من الثبوت والدوام فضلاً عن تحقق الوقوع .

ويأتي التنوين في «أمةٍ، موحدةً، أرضاً، شعباً، إيماناً » ليضرب به الشاعر على أوتار قلوب أمته الغافلة في سباتها العميق، ليوقظ من همتها ويثير من شجاعتها نحو العزة والصمود في المواجهة للعدو المتربص .

والتنوين يدل كذلك على مشاعر الشاعر الثائرة الساخطة على واقع أمته الإسلامية المزري بثوب الفرقة والشتات، والضعف والاستكانة .

وجاء الشاعر بواو العطف في (وإيماناً وتكويناً) وهو يريد بذلك أن يشعرنا بأن وحدة الأمة وعزتها في أرضها، مرتبط بتمسكها بدينها وحماية وجودها، فما تمسك المسلمون بدينهم إلا دانت لهم الأمم والأرض، وما تخلوا عن دينهم إلا زالت عزتهم، وسلبت أراضيهم، وضيعت حرياتهم، ونجد المواءمة بين الألفاظ من طريقة الصيغة [١]، كما في ألفاظ : «أرضاً، شعباً»، وهذا يدل على تمكن الشاعر من استعمال اللغة حيث لم تتنافر الألفاظ ولم تبعد عن إرادة المعنى الذي أراده الشاعر، فضلاً عن إيقاعها الموسيقي القوي الذي يمارس به الشاعر عملية إسقاط سياسي بالمقارنة بين واقع المسلمين المظلم وماضيهم الباسم.

ويصور الشاعر مدى التنازع والتفرق الذي آلت إليه أمة الإسلام بقوله: «وتقسمون الأرض بينكمو» حيث إن التعبير بالمضارع يفيد التجدد والاستمرار .

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب د. أحمد بدوي (ص٤٨١) .

أي الاستمرار في السياسة الخاطئة للحكام المسلمين بتحقيق آمال العدو في إقامة السدود والحدود بين البلاد الإسلامية .

وتُوحي أيضاً بالضعف المزري الذي آل إليه حكام العرب، وتحولهم إلى مجرد أداة في يد الاحتلال مسلّطة على شعوبهم، ببث روح التناحر والتفرق بين أبناء الأمة الواحدة، والبيت فيه ما فيه من النقد اللاذع للحكام العرب .

ونجد الألفاظ القوية المعبرة في قول الشاعر :

وتنسبون إلى الإنصـــاف أن تهبـــوا شراذم الأرض حقـــاً في أراضـــينا

حيث يُذكّر الشاعر بقضية فلسطين، قضية الأمة جميعاً، مسجلاً على العرب صمتهم القاتل واعترافهم لليهود بقطعة غالية من قلب العروبة، ناعياً على العرب ضعفهم المستكين لإرادة العدو الغاصب في قوله:

وتنسبون إلى الإنصـــاف أن تهبـــوا شراذم الأرض حقـــاً في أراضـــينا

فهذا البيت جملة حالية مسببة عن مضمون البيت السابق .

حيث صدّر الجملة بواو الحال أي والحال والشأن أنكم لفرقتكم وانقسامكم وتخاذلكم تستسلمون لإرادة العدو بل وتعترفون له بالحق المغتصب في أراضيكم .

وقد ساعد الشاعر في إبراز هذا المعنى لفظ «تهبوا» فاغتصاب اليهود لأراضينا المقدسة لم يكن إلا هبة من حكام العرب بموقفهم المتخاذل عن نصرة إخوانهم، ويكني الشاعر عن اليهود بقوله: «شراذم الأرض» وهو تصوير مستمد من التعبير القرآني في قوله تعالى : (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) [١]. وفائدة التصوير التحقير والتهوين من شأن اليهود من جهة، ودفع العجز واليأس من النفوس، وبث القوة في النفوس المؤمنة من جهة أخرى، فما هم إلا جماعة قليلة يمكن دحضهم .

والتنوين في «حقاً» يوحي بشدة انفعال الشاعر وسخطه على الواقع المهين ويكثر الشاعر من استخدام ألفاظ المضارعة التي تدل على التجدد والاستمرار وهي تتناسب مع الروح الثائرة التي يحاول الشاعر بثها في نفوس أبناء الأمة كما في

---

(١) من سورة الشعراء من الآية (٥٤)، شراذم: جمع شرذمة وشرذمة من الناس جماعة قليلة [المعجم الوسيط، ط٤، ص٤٧٨] .

ألفاظ: «تقسمون ـ تنسبون ـ تهبوا ـ تصنعون ـ تحسبوا ـ ستضرم» .

ويأتي لفظ « أراضينا » بصيغة الجمع ليوحي لكل مسلم بأن فلسطين وطنه العزيز المأسور الذي يجب عليه أن يستنقذه من أيدي اليهود، ولتحفيز كل وطني غيور على وطنه الإسلامي لاسترداد حرياته ومقدساته المسلوبة .

كما توحي بأن الشاعر لم يحصر دعوته الحثيثة في مقاومة احتلال بلاده فحسب، وإنما يذكي روح الجهاد والحماسة لأمته الإسلامية كافة لمقاومة الغزاة المحتلين، ففلسطين لم تكن جرح الفلسطينيين وحدهم، ولكنها كانت جرح العرب[١] جميعاً، وتوحي بالمشاركة الوجدانية لما يحدث للأمة الإسلامية فهي أمة واحدة وإن فرق الاحتلال دولتها وجعلها دويلات متناحرة، ونجد الألفاظ المعبرة عن الواقع الإسلامي الراهن، وأحداثه المفجعة تعبيراً يطرح قضية الوجود الإسلامي بأكمله في قول الشاعر :

وتصْنَعُونَ عروشــاً فوقهــا لُعَــبٌ صُــمٌّ لِيَنْتصــبُوا فينــا فراعينــا

فالشاعر يندد بسياسة الحكام الذين يجعلون من أنفسهم أرباباً لشعوبهم المستذلة بالذل والخسف واختار لتجسيد هذا المعنى لفظ : « وتصنعون » فالتعبير بالمضارع يفيد التجدد والاستمرار، وسبقه بواو الحال يوحي بأن هذا الحال هو نهج الحكام الدائم .

والتعبير بـ « لُعبٌ، وصُمٌّ » يوحي بالتصوير الدقيق لعبيد السُّلطة، فهم كالدمى المتحركة في أيدي الحكام، أما لشعوبهم فهم صم السمع لا يهبون لنجدة أو يُصغون لصرخات شعوبهم ونداءاتهم .

واقتران الفعل باللام في « لينتصبوا » يوحي بقوة البطش والتربص بالشعوب الضعيفة المستذلة، ويأتي لفظ « فراعينا » بصيغة الجمع ليوحي بمدى معاناة الشعوب العربية من حكامها وحكوماتها، لما يلقيه هذا اللفظ من استدعاء لتلك الشخصية التراثية المرتبطة في الذاكرة برمز الطغيان وقوة البطش والتعالي بالباطل ففيه تذييل للمعنى وحسن تعليل، حيث إن استبداد الحكومات يرجع إلى سياسات الحكام الخاطئة .

ويستعين الشاعر بالألفاظ القوية المصورة، ليصب جام غضبه على الحكام

---

(١) انظر ص١٨ .

الظالمين، فيبلغ غاية التهديد والوعيد في قوله :

لا تحسبوا مُقْلــة التــاريخ غافلــةً أو الشُّعوبَ على الإذلالِ مُغْضــينا

فأسلوب النهي يتضمن معنى التهديد والوعيد ويحمل نبض الشاعر الثائر وزفرته المكلومة، وصرخاته المكتومة التي تحث أمته وتقوي عزيمتها للثورة ورفض الظلم والطغيان .

وما أروع التشبيه الذي يصور التاريخ بالعين الراصدة المتتبعة المنتبهة التي لا تغفل عن الإدلاء بشهادتها على الحكام.

ويجيء أسلوب الحذف في قول الشاعر : « أو الشعوب على الإذلال مغضينا» أي لا تحسبوا الشعوب يغمضون أعينهم عما يوجه إليهم من قهر وظلم، وهذا الأسلوب يدل على عمق انفعال الشاعر وسخطه وتجاوبه مع قضايا أمته لأن الإنسان الثائر الغاضب لا تكتمل جمله أو عباراته .

وما أروع التصوير للحق بالبركان الثائر الذي يملأ الأرض ناراً متقدة بالطغاة في قول الشاعر :

فجذوةُ الحــقِّ والإيمــانِ في دَمِنــا سَتُضرمُ الأرضَ بالبــاغي براكينــا

فتصدير البيت بفاء التعقيب التي تفيد السرعة والسببية واسمية الجملة التي تؤكد المعنى وارتباط الفعل بالسين في « ستضرم » يدل على العزم الأكيد والإرادة الصلبة في تغيير الواقع والثورة على الطغيان .

وفي الشعر الاجتماعي نجد الألفاظ الواضحة التي تتسم بالنقد اللاذع والسخرية كما في قول الشاعر[١] : [البسيط]

هل قُدَّ قلبُكَ يا إنسانُ من حجــرٍ فليس في شرعه لــينٌ ولا حــدبُ؟

تجفــو إلاهَــكَ في أَمْــنٍ وتعرفــهُ حقّ اليقينِ إذا حاقتْ بك النُّــوبُ

بل الحجــارةُ أسمــى منــه منزلــةً إذْ بعضها من جــلال الله ينشــعبُ

على مدى الدَّهر لم ترقأْ مــدامعها فمن محاجرهــا الأنهــارُ تنســرب

---

(١) من سورة يونس من الآيتين (٢٢، ٢٣) .

فالشاعر يندد بمن يلجأون إلى ربهم في وقت الشدة، ويعرضون عنه في وقت الرخاء، فينسون ربهم حيث لم يعد هؤلاء كما كانوا من ذي قبل مضطرين، لا يجدون ملاذاً ومجيراً غير الله يكشف عنهم ما هم فيه، والشاعر في هذا متأثر بما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1] .

فالألفاظ موحية بالمعنى الذي أراده الشاعر فكان الاستفهام الذي أتى به الشاعر في بدء الأبيات يحمل معنى الإنكار والتعجب من سلوك الإنسان المسلم هذا المسلك، وجاء الشاعر بالفعل المضارع في « تجفو، تعرفه » ليدل على التجدد والاستمرار باللجوء إلى الله وقت الشدة فحسب .

كما جاء بالأفعال الماضية في قوله : « قُدّ، حاقت » ليناسب حالة الغفلة التي يتحول الناس إليها إذا كشف الله عنهم الضّرّ، لما يفيده البناء للمجهول في «قُدّ» من السرعة في التحول، وليدل على استمرار الناس في الغفلة والتمادي في البعد عن الله، وأن هذا هو حالهم الدائم المستمر في وقت الرخاء .

كما اعتمد الشاعر على التصوير القرآني للقلوب القاسية بالحجارة، فصور القلوب القاسية التي لا تخشع للخالق إلا في وقت الشدة فحسب بالحجارة، ثم جاء بأسلوب المفارقة التصويرية التي تقوم على الجمع بين مشهدين مع إبراز ما فيهما من تناقض فصور الحجارة التي تتفجر بالمياه، والتي تتصدع من خشية الله بالعيون التي لا يجف بكاؤها من خشية الله، وفائدة التصوير حمل الشاعر المتلقي على التأمل والتفكر في حكمة الله التي جعلت الحجارة أسمى منزلة من الإنسان لخشوعها للخالق، بينما صار قلب الإنسان أشد قسوة من الحجارة، لا يلين لخالقه إلا في وقت الضّرّ ـ قسوة وبلادة في الشعور .

فالخشوع قد لا يتأتى من موطنه اللين وهو القلب، بل من الحجر الأصم الذي يشعر ويبكي خوفاً من جلال الرحمان، بينما الإنسان ذو العقل المفكر الذي

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٧٤)، الحدب: العطف، انشعب: صار ذا شعب أو تفرق وانتشر، رقأ: جف وسكن .

ارتضى حمل الأمانة يغفل ويتحول قلبه أقسى من الحجارة .

فالألفاظ تتسم بالقوة المستمدة معانيها من القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون﴾ (١) .

ومن هذه الأمثلة وغيرها مما سبق في الحديث عن ثقافة الشاعر يتبين أن معجم الشاعر هو المعجم الإسلامي لفظاً ومعنى، فضلاً عن قدرة الشاعر على توظيف الألفاظ الإسلامية في السياق.

وهكذا معظم شعر شاعرنا يورد اللفظ الملائم لما يعبر عنه من معانٍ تعتمل في نفسه وهذا هو جوهر النجاح للشاعر حيث إن « للألفاظ أرواحاً، ووظيفة التعبير الجيد أن يطلق هذه الأرواح في جوها الملائم لطبيعتها، وليست المسألة مسألة صياغة لفظ، إنما هو الشعور التلقائي الغامض الذي يوحيه» (٢) .

ومع حسن توظيف الشاعر للغته وتخيره اللفظ المناسب للمعنى فإن هناك بعض الألفاظ التي أخطأ الشاعر في استعمالها كقوله في تصوير قصائده التي تحث على الفداء والتضحية والدفاع عن المقدسات : [الكامل]

وقصيدةٌ بـــدم الشـــهيد خضـــبتها ووشـــيتها بشـــقائق النعمـــان(٣)

فالوصف بشقائق النعمان لا يتناسب مع وصف لون دماء الشهداء، وإنما يتناسب مع الوصف الرقيق لجمال الطبيعة البديعة في تأمل جمال الشقائق وشدة احمرارها، ولعل الشاعر استقى هذا الوصف من قول المتنبي :

وجرى على الورق النَّجيع القـاني فكأنّـــهُ النَّـــارنجُ في الأغصـــان

« والمعروف أن صورة النارنج البادي من خلال الشجرة صورة مبهجة سارة، وتلك هي عادة المتنبي في وصف الحرب، إذ نراه يضفي على الوصف

---

(١) من سورة البقرة الآية (٧٤) .

(٢) البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، (ص٤٤)، ط٤، دار المعارف ١٩٧٧م .

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٧٨) .

شيئاً من إحساسه المبتهج لمواقف القتال ومظاهره» [١] .

فكلا الشاعرين وصف لون الدماء بشيء مبهج من الطبيعة وإن صح مع المتنبي لأنه يصف دماء الأعداء إلا أنه لا يصح مع شاعرنا وهو يصف دماء الشهداء، فوصف المتنبي يثير البهجة والتلذذ برؤية دماء الأعداء، أما وصف شاعرنا فليس الغرض منه إثارة البهجة أو التلذذ برؤية الدماء .

وفي قول الشاعر[٢] :

ولديّ من نغم الرصاص إذا هوى يرمي الغزاة روائع الأوزان

فروائع الأوزان أتى بها الشاعر من أجل القافية والأولى التعبير بكلمة قذائف بدلاً من روائع فصوت الرصاص يناسبه « قذائف » .

ومما أخطأ فيه الشاعر قوله [٣] : [الكامل]

ووردت أحواض المكارم والعلا فملأت منها أكؤسي ودناني

وجعلتها للواردين مباحة ذوقوا الفضيلة لذّةً في حاني

الأسلوب :

عرفه د. أحمد الشايب بأنه : « طريقة الكتابة أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير أو الضرب من النظم والطريقة فيه»[٤] .

فالأسلوب هو ما يميز أديباً عن آخر لأنه طريقة الأديب النابعة من ذاته، ومن هنا صحّت مقولة الرومانسيين : « الأسلوب هو الكاتب » [٥] .

---

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي العلاء المعري، تحقيق ودراسة د/ عبد المجيد دياب، ج٣، (ص٥٤٠)، ط٢، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، دار المعارف، وشرح مصطفى سبيتي، ج٢، (ص٧٣٠)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٧٨) .

(٣) المرجع السابق (ص٧٨) . فألفاظ : أكؤسي ، دناني ، حاني لا تتناسب مع التعبير عن المكارم ، «أكؤسي» : جمع كأس وهو الإناء إذا كان فيه خمر، و«دناني» : مأخوذ من الدَّنُ وهو وعاء ضخم للخمر ، و«حاني» : مأخوذ من الحانة وهو حانوت الخمار [لسان العرب] .

(٤) الأسلوب، تأليف أحمد الشايب (ص٤٤)، مكتبة النهضة المصرية، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

(٥) عبد الرحمن شكري، د. مدحت الجيار (ص٣٩)، ط ١٩٩٧م .

لأن الخصوصية التي تميز نصاً عن آخر هي ما تميز كاتباً عن آخر ، وأسلوب شاعرنا هو السلس مع القوة والرصانة، وليس الوعر الصلب .

وهناك سمات اتسم بها أسلوب شاعرنا منها :

التكرار: وهو سمة أسلوبية يحمدها النقاد لأنها تدل على تركز فكرة ما في بؤرة شعور الشاعر وهو «من سنن العرب في إظهار العناية بالأمر » [١] .

وهو في حقيقته « إلحاح على جهة [مهمة] في العبارة، يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها، وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمامه بها، وهو بهذا ذو دلالة نفسية قيمة » [٢] .

ومن وجوه التكرار في شعر شاعرنا تكرار كلمة بعينها لتثبيت المعنى وتوكيده كما في قوله [٣] : [الكامل]

قومي بسيف ابن الوليد ومهّدي ... سبل العُلا بيراعةٍ وقناةِ

قومي اسبقي الأيامَ وابني مجدَها ... لا ترقبي مدّ الزمان الآتي

قومي وقولي للخلائق: واهمٌ ... من ظنّ أنّي قد فقدت حياتي

فالشاعر قد كرر كلمة « قومي » ثلاث مرات، وهذا التكرار لاستجاشة الهمم، واستنهاض عزائم الأمة وإيقاظها من غفلتها وسباتها العميق لاسترجاع المجد الإسلامي، والتكرار لصيغة الأمر المقترن بياء الخطاب يحمل معنى الحث والتحضيض فالشاعر يستصرخ أبناء أمته لإحياء حضارة الإسلام الزاهرة بدفع اليأس من النفوس وبث الثقة والأمل في نصر الله، كما يوحي التكرار بأن عزة المسلمين في قوتهم، والاستعداد الرهيب لأعدائهم، هو مناط انتصارهم على أعدائهم .

ويوحي بأن الأمة لا ينقصها سوى إيقاظ الوعي، والإقدام على تغيير واقعها المهين، وصيغة الأمر في « قومي، اسبقي، ابني، قولي، مهّدي » للنصح

---

(١) فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، (ص٣٧٣)، تحقيق مصطفى السقا، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة .

(٢) قضايا النقد المعاصر، نازك الملائكة، (ص٢٤٢)، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٢م.

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٨٥) .

والإرشاد، ويدل على أن الأوان قد آن لاسترداد الحريات والمقدسات، والمجد الإسلامي المفقود، ولم يعد هناك وقت للغفلة والسبات والتخاذل عن الجهاد والنصرة، وتوحي بحدة الصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، والإيمان والكفر، وبذلك يضع الشاعر نصب أعين أمته فريضة الجهاد التي تقود إلى تحريك الحياة نحو الأحسن، وتخطّي مواقع الركود والفساد، ويمنح القدرة للقوى الإنسانية الخيّرة كي تشد عزائمها، وتقف أمام مسؤوليتها الكبرى في العالم المتصارع على الأرض لترد طغيان الطواغيت وتدافع تحديّهم بنفس القوة، لتثبت لأعدائها أنها لم تغد جثة هامدة بين الأموات، ومن هنا كان أسلوب النهي « لا ترقبي » لإثارة الحماسة والحمية في النفوس.

ونجد التكرار في الشعر الوطني في قصيدة « عودة النسور» حيث كرر الشاعر كلمة: «أنا آت» مرتين باللفظ، ومرتين بالمعنى في قوله[١]: [الخفيف]

أنـــا آتٍ ولـــو تعـــرَّج دربي فـــدليلي أنفـــاسُ تلـــك الربـــوعِ

لا تَشُـــكّي حبيـــبتي بإيـــابي وارصديني فقد نشـــرتُ قلـــوعي

وعلى مرسل الريـــاح اعتمـــادي فأطيعي يـــا ريـــحُ أو لا تُطيعـــي

أنـــا آتٍ بـــرغم عمـــق جراحـــي وحصاري وبُعْـــدِ داري وجـــوعي

ورفاقي صـــبري ومفتـــاحُ بـــيتي وحـــــنين المشـــــرد المفجـــــوع

وهذا التكرار يتناسب تماماً مع حالة الشاعر النفسية، ويدل على شدة الحنين والشوق وتمني العودة إلى الوطن، ويوحي بقوة الإرادة الصلبة والتحدي لإرادة المحتل، واستخدام الشاعر أسلوب التوكيد بالجملة الاسمية، وأسلوب الشرط الدال على ربط المقدمات بالنتائج، مما يحرك خيال المتلقي لمتابعة جواب الشرط لما فيه من التنبيه وإثارة التفكير والتركيز .

أنـــا آتٍ ولـــو تعـــرَّجَ دَرْبِـــي فـــدليلي أنفـــاس تلـــك الربـــوعِ

والتضعيف في تعرّج، وتكرار الأمر في « أطيعي»، ونفيه « لا تطيعي »

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٢٥) .

ليضاعف الشاعر من تأثير الأبيات على المتلقين ليثير همتهم، وقد تكرر حرف الياء في ألفاظ [دربي، فدليلي، لا تشكي، حبيبتي، بإيابي، ارصديني، قلوعي، اعتمادي، فأطيعي، لا تطيعي، جراحي، حصاري، داري، جوعي، رفاقي، صبري، بيتي] .

فتكرار حرف الياء كثيراً في هذه الألفاظ فضلاً عن أبيات القصيدة كلها، ليبرز الشاعر من خلاله شعور الألم والحزن، والأسى العميق ــ عن طريق النغمة الخافتة المنكسرة التي يرسمها صوته مع ما جاوره من أصوات ـ لفراق وطنه .

وهذا التكرار يؤكد عمق مشاركة الشاعر الوجدانية لقضايا أمته، ولهذا يستصرخ أبناء أمته للعودة إلى الأوطان التي سماها الشاعر بالحبيبة، ونادها بحبّة القلب .

حبّة القلبِ كمْ أضأتُ شموعي ثم أطفأتُها بهَمْر دموعي

فحذف الشاعر لأداة النداء يوحي بقرب بلاده إلى نفسه فخاطبها دون أن يفصله عنها شيء بل ناجاها كأنها حبيبة أثيرة لديه يدعوها فتستجيب، ويؤكد الشاعر حبه العميق باسمية الجملة، ووصفها بتلك الصفة « حبّة القلب » .

ومن الظواهر الأسلوبية: تنوع الصيغ بين الخبر والإنشاء، حسب ما يقتضيه المقام ويتطلبه الموقف، فالأسلوب الخبري قد أتى مكثفاً في شعره، لارتباطه بالتاريخ، ولذلك أكثر الشاعر من استخدام الفعل الماضي في استدعاء الشخصيات الإسلامية والأحداث التاريخية ليدل على أنها حقائق وقعت، يقول الشاعر في قصيدة : «رسالة الخنساء» [(١)] : [الكامل]

أمضيتُ شطر العمر في الآهاتِ ونظمتُ من غُصص الشَّجى زفراتي

وبكيتُ صخراً بالدموع وبالدّما وأضعْتُ فيه تجلّدي وأناتي

وبذلتُ عيني في بكاه ومُهجتي وَوَدِدْتُ لو أَنّي بذلتُ حياتي

وأقمتُ في ثكلى وقلّة حيلتي أرجو زماني أن تقوم نُعاتي

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٨٣، ٨٤) .

حـــتى عرفـــتُ الله بعـــد جهالـــةٍ ونقلتُ في درب الهـــدى خُطـــواتي

فحبـــانيَ الإيمـــان عزمـــاً صـــادقاً يُزْرِي بما في الأرض مـــن غمـــرات

فـــدفعتُ يـــوم القادســـية أربعـــاً في موكب الشهداء مـــن فِلْـــذاتي

وحمدتُ ربّي حـــين قـــال نَعـــيّهمْ: هُم يُسْـــرحون اليـــوم في الجنّـــات

فالشاعر يستخدم الأسلوب الخبري التقريري لتصوير مرحلة الجاهلية، ومرحلة الإيمان الثّرة في حياة الشخصية الإسلامية «الخنساء» .

وتكثر الأفعال الماضية لتوحي بالثبات والدوام، وبالتحول الخطير في حياة الشخصية من الكفر إلى الإيمان، من الجزع والهلع والرثاء لألم الفقد إلى الثبات والصبر والاحتساب لعظم أجر الشهداء .

وتلك حقائق ثابتة ساعد على إبرازها الأسلوب القصصي المشوّق الذي يأخذ شكل البوح الوجداني أو المنولوج الداخلي .

ومن تأكيد الجملة الاسمية قول الشاعر [١] :

إنمـــا الْبَغْـــيُ قلعـــةٌ فـــوقَ رمـــلٍ تُـــوهمُ المحتمـــي بـــركنٍ منيـــع

ولعل الشاعر تأثر بالحكمة القائلة : « ما عقوبة أسرع من البغي » لتصوير العاقبة الوخيمة للباغين وتهديدهم .

ويستخدم الشاعر أسلوب الشرط الدال على ربط المقدمات بالنتائج، مما يحرك خيال المتلقي لمتابعة جواب الشرط لما فيه من التنبيه وإثارة التفكير والتركيز، فيقول:

فـــإذا نـــادت الحبيبـــةُ نَسْـــراً فـــالملبّونَ ألـــفُ ألـــفٍ سميـــع

كما استعمل الشاعر الأساليب الإنشائية من الأمر والنهي والاستفهام والدعاء والنداء، وهي في «جوهرها مشاعر وجدانية وخواطر نحسّها، ونريد أن نلقي بها نفوس الآخرين كي نصل إلى ما نبغيه من تأثير» [٢] .

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٢٦) .

(٢) مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، د. عبد الغني محمد بركة، (ص٨٥)، ط١، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م .

فمن الأمر قول الشاعر مخاطباً بلاده [١] :

لَبِســوا حُلّــةَ الجهــادِ وجــاؤوا فالْبِســي للِّقــاءِ ثــوبَ الربيــع

وتَحــدّي بهــم سَــوادَ الليــالي فهُمُ الشَّــمسُ آذنــتْ بطلــوعِ

فاطْربي للجمــوع تُزجــي المنايــا وهي تهوى أمــام تلــك الجمــوع

فصيغ الأمر في « فالبسي، تحدي، فاطربي » لم تخرج عن معناها الحقيقي إلى التّمني الذي يدل على الاستحالة، وإنما توحي بالحب العميق الكائن في نفس الشاعر لبلاده التي سماها بالحبيبة، وتدل على عمق مناجاته لها، فهو يحثها ويحضّها أن تلبس ثوب الربيع المزهر بالحرية، وأن تتحدى بأبطالها دياجير الباطل، ونوب الأيام، وأن تطرب بتدافع الأبطال وهم يقدمون أرواحهم فداءً لها، لأنهم كالشمس التي تؤذن بتولّي الظلام وانقشاع الباطل والضيم، وبعث النور والحرية والحق.

وهذه الصور تبرز خيال الشاعر الوثاب الذي يزيل الحواجز بين الإنساني وغير الإنساني، ويشخص غير المحسوس في صورة المحسوس .

ومن أسلوب النهي قول الشاعر [٢] :

ولا تَحِدْ عن طريق العلــم إن لــه في دعوة الحق نوراً غــير محتجــب

فالنهي يفيد الحث والإرشاد على طلب العلم وتحصيله لأنه النور الذي ينير العقول ويثبتها على طريق الحق .

ومن أسلوب الاستفهام قول الشاعر[٣] :

هل قُدَّ قلبكَ يا إنسانُ من حجــرٍ فليس في شرعه لــين ولا حــدبُ؟

فالاستفهام خرج عن معناه الحقيقي ليفيد الإنكار على الإنسان الذي قسا قلبه وتبلّد شعوره فصار كالحجر الأصم .

وفي البيت أسلوب « الالتفات » بالتحول من الخطاب إلى الغيبة الذي يثير

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٢٦) .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٩٠) .

(٣) المرجع السابق (ص٧٤).

انتباه السامع، ويتناسب مع معنى التحول للقلب من اللين إلى القسوة .

ومن أسلوب النداء المقترن بالدعاء قول الشاعر [١] :

يا رب أسكنْ دُعاةَ الحقِّ روضـــتَها فأنت يا رب مَنْ يرجى لـــــمُرْتَغِبِ

واجعل صلاتك موصـــولاً تنزّلُهـــا على نبيِّك خير العُجْـــمِ والعـــرب

فتكرار النداء المقترن بالدعاء يوحي بالتضرع ولذّة المناجاة لله سبحانه، فضلاً عن أداة النداء «يا» التي تدل على التعظيم والإجلال لله سبحانه وتعالى، فـ«يا» الموضوعة لنداء البعيد إنما تدل على علو وتعظيم الخالق سبحانه وتعالى.

وبهذا يتضح مدى التفاعل والإثارة بين الشاعر والمتلقي بإيراد الشاعر لتلك الأساليب الإنشائية .

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٩١) .

المبحث الثاني
المعاني والأفكار

المعاني والأفكار من أهم عناصر العمل الأدبي حيث تبدو فيها شخصية الأديب ومدى حظّه من الثقافة، ومدى صدق موهبته الأدبية .

والشعر شأنه شأن أي نوع أدبي لابدّ فيه من توافر المعنى والفكرة، وكلما عمق المعنى ووضحت الفكرة وكانت ذات قيمة، علا شأن الشعر واكتسب خلوداً وبقاءً[١].

وقد دارت معاني شاعرنا ــ كما مر ــ حول شعر هموم الوطن وقضاياه السياسية والاجتماعية.

وتمتاز معاني شاعرنا بعدة سمات :

أولاً: صحة المعاني والأفكار، والمراد بها: « النظر في مطابقتها لما لا ينكره العقل الإنساني والحقائق التي تعرفها بيئة الأديب الذي يوصف بالخطأ إذا ما حاول الخروج على ما يعرف الناس، أو ما تسلّم عقولهم وثقافتهم وتجاربهم به»[٢] .

وصحة المعاني والأفكار هي الأصل في رؤية شاعرنا ومحور تصوره، فقد تحدث في صدق وبراعة عن أضرار الخمر على العقل الإنساني وقدم صوراً منفرة تحذر من عاقبتها الوخيمة التي تتعدى الفرد إلى الأسرة إلى المجتمع كله، وبين الحكمة من تحريم الله لها بقوله [٣] : [البسيط]

كم في اللّحود ضحايا من حوادثها سَلِ المقابرَ عن أخبارِ موتاها

فرُبَّ مركبةٍ مادت بقائدها فغيَّبته المنايا في طواياها

وأسرةٍ مُزِّقَتْ بالخمر لحمتُها وعاصفاتُ النّوى زادتْ بلاياها

في كل ليلٍ لها في الضُّرِّ نائبةٌ في رحلة العمر آلام حكاياها

---

(١) النقد الأدبي، أحمد أمين (ص٤٨)، ط٣، ١٩٦٣م، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، (ص٣٦٤)، ط٢، ١٩٧٠م.

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٦٦، ٦٧) .

مـــا غـــادرت كَبِـــداً إلا مفطّـــرَةً في قبضةِ الموت قد حارت أطبّاهـــا

فمن رجا عيشـــةً فيهـــا ســـلامته فشِـــرْعة الله لا تخفـــى مزاياهـــا

ما حَـــرّم الله إلا كـــلّ ذي ضـــررٍ أسرار حكمتـــه دقّـــتْ خفاياهـــا

كما أشاد الشاعر بالحضارة الإسلامية ودور النبي (صلى الله عليه وسلم) في بنائها وإسعاد البشرية وهدايتها، واستدعاء مواقف البطولة لصحابته الأخيار، آملاً أن تعود الأمة في واقعها الإسلامي المعاصر إلى ماضيها الزاهر[١].

ثانياً: دقة المعنى وعمقه :

فالمعنى الدقيق أو العميق ليس هو المعنى الغامض، لأن عمق المعنى ووضوح الفكرة، دليل على قدرة الشاعر على المواءمة بين معانيه وألفاظه، ومزجه بين أفكاره وعاطفته، وذلك المزج من شأنه أن يكتب الخلود لهذا الشعر في ضمائر الناس .

وتبدو دقة المعنى، والشاعرية المتدفقة والمتأملة في المواقف والأحداث بما يدل على تفاعل الشاعر واندماجه في تجربته الشعرية في نظمه المعاني غير السطحية من ذلك قول الشاعر حاثّاً على الوحدة ونبذ الفرقة والضعف، بالتمسك بالدين، فهو السبيل الوحيد لتحقيق العزة على أرض الإسلام واسترجاع حضارة الإسلام المجيدة[٢] : [الكامل]

أسلمتِ جفنكِ بعد صحوٍ للكـــرى ورضيتِ من صيد العُـــلا بفتـــات؟

وتألفـــت أمـــمٌ شـــتيتٌ شَـــمْلُها ونُكِبـــتِ بَعـــد تـــألّفٍ بشـــتاتِ؟

وقد اعتصمتِ بحبل ربِّـــك حِقبـــةً فأقمتِ في حـــرزٍ مـــن العثـــراتِ

ورفعـــت للإيمـــان رايـــة عـــزَةٍ في كُـــلِّ حاضـــرةٍ وكـــل فـــلاة

وحباكِ ربُّكِ من خـــزائن فضـــلهِ فَصْلَ الخطـــاب ومحكـــم الآيـــاتِ

---

(١) ينظر الديوان (ص١٢، ٢٩، ٥٠) .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٨٤) .

أكبرتُ نبراساً نَشَرْتِ ضياءه في الأرض يَجْلو حالكَ الظّلماتِ
وعلى مناهلكِ الهنيئةِ أقبلتْ أُممٌ من الآفاقِ مستقيات
فبسطّتِ كفّاً كالسّحابِ ومُهجةً تسعُ الأنامَ رحيبة الجنبات

ثالثاً: وضوح المعاني والأفكار :

فوضوح المعنى مقياس من مقاييس جودة الشعر، أما الغموض فمما يتّضع به الشعر ويحطّ من قيمته [١] .

والمعاني تكون واضحة بقدر قربها من الأفهام وبعدها عن الالتواء في التعبير عنها، فمن وضوح الفكرة والمعنى قول الشاعر في الشعر الاجتماعي مصوراً سبيل الدعوة الأقوم بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لدى الدعاة [٢] :

اُدْعُ الأنام لدين الله واحتسب واصبر ولا تشْكُ شكوى الواهن التعِبِ
فالحقُّ لابُدّ أنْ يَلْقى مخالفةً من راكبِ لُجّةَ الأهواء مضطربِ
فاصبرْ عليهمْ وأجملْ في نصيحتهم كفعل أم القطا في فرخها الزغبِ
وإن أردتّ من الرحمن نُصْرته في دعوة الحقِّ فاسلك نهج خير نبي
فلا تكن فظّ قلبٍ أو أخا نَزَقٍ فالرّفقُ يُغْري جُفاة الناس بالأدب

رابعاً : من سمات معاني شاعرنا الحكمة :

أكثر شاعرنا من الحكمة إلا أنه لم يأت بها كغرض مستقل في قصيدة مستقلة، وإنما يبثها في تضاعيف شعره كلما اقتضى المقام أن يقدم لنا خلاصة تجاربه .

فمن الحكمة قول الشاعر [٣] :

والنفسُ إنْ عطّلتْ عقلاً تعزّ به ضلّتْ مراكبها والجهلُ أعْماها

فالحكمة في البيت تحث على إعمال العقل الذي هو رائد النفس في الهداية،

---

(١) أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي (ص٤٤٠) .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٨٩)، القطا: نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء ويتخذ أفحوصة في الأرض، ويطير جماعات، ويقطع مسافات شاسعة، الزغب: صغار الريش، نزق: الخفة والطيش في كل أمر والعجلة في جهل وحمق. [لسان العرب] .

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٦٥) .

ومرديها ـ إن غُيّب ـ في الجهل والضلال .

ومنها قول الشاعر[١] :

فـــالحقُّ لابُـــدّ أنْ يَلْقـــى مخالَفَـــةً من راكبٍ لُجّةَ الأهواءِ مضـــطربِ

فهي حكمة تؤكد حقيقة الصراع الأبدي بين الحق والباطل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ومن الحكمة المستمدة من الأمثال العربية قول الشاعر[٢] :

لابُـــدّ للأمهـــار بعـــد عثارهـــا أن تســـتعيدَ إمـــارة الحلبـــاتِ

فالحكمة تحث المسلمين على استنهاض عزائمهم لاسترجاع البطولات الإسلامية الزاهرة، وهي مأخوذة من المثل العربي : « لكل جواد كبوة » مثل يضرب للرجل الصالح حين يسقط السقطة، فيشبه الرجل بالجواد لأصالته، وهذا ينم عن صلاحه وعلو شأنه .

ومن الحكمة التي استمدها الشاعر من الشعراء السابقين قوله [٣] :

فالمرءُ إن ملك العلـــوم ولم يَحُـــزْ خُلُقـــاً وإيمانـــاً غـــدا شـــيطانا

فالحكمة تحث على أهمية الخلق الذي يوجه الإنسان إلى الخير والنفع بعلمه، لا للهلاك والضُّر به والشاعر متأثر بقول شوقي [٤] :

وإنما الأمم الأخـــلاقُ مـــا بقيـــت فإن هموا ذهبت أخلاقهـــم ذهبـــوا

ومن الحكمة التي تقرر حقيقة الموت والفناء الذي يهوى به الطغاة من سُدَّةِ الملك إلى وهدة القبر قول الشاعر [٥] :

فبينـــا يَشْـــمخُ الجبَّـــارُ تيهـــاً إذا هـــو رِمّـــةٌ في اللّحـــدِ بـــالي

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٨٩) .

(٢) المرجع نفسه (ص٨٥) .

(٣) المرجع نفسه (ص٦١) .

(٤) الشوقيات، أحمد شوقي، شرح وتبويب د/ علي عبد المنعم عبد الحميد (ص٣٣)، الشركة المصرية العالمية لونجمان، ط ٢٠٠٠م .

(٥) ديوان ويزهر السعد (ص٤٥) .

ويطمـــع كـــل بـــاغٍ في خُلـــودٍ وفي جنبيـــهِ أســـبابُ الـــزّوالِ

فهذه الحكمة أتى بها الشاعر ليؤكد موقفه من القضية التي يعالجها مما يدخل ضمن التعليل للمعنى محاولة للإقناع به .

ومن الحكمة قول الشاعر[١] :

والمـــالُ عاريـــةٌ ونحـــنُ خلائـــفٌ سنحولُ عنهُ إذا المنـــادي أَسْـــمَعا

والـــنّفسُ في كـــفِّ المنيـــةِ مَالَهَـــا أن تســـألَ التّـــأخير أو تتمنعـــا

فالحكمة في البيت الأول تؤكد حقيقة أن المال مال الله، والإنسان ما هو إلا موكل عليه وسيترك الإنسان وراءه هذا المال إن وافاه الأجل الذي لا يمكن دفعه أو تأخيره، والشاعر متأثر بقوله تعالى : (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِين * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُون) [٢] .

وقد أشار أبو ذؤيب الهذلي إلى المعنى نفسه في قوله :

وما المـــال والأهلـــون إلا ودائـــعُ ولابـــدّ يومـــاً أن تُـــردّ الودائـــعُ

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٢١) .

(٢) من سورة المنافقون من الآيتين رقم (١٠، ١١) .

المبحث الثالث
الصورة الشعرية

« ليست الصورة شيئاً جديداً فإن الشعر قائم عليها منذ أن وجد، ولكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر وآخر» [١] .

فهي تعني « طريقة الصياغة أو النظم التي تتمايز بها وتتحدد تبعاً لها قيمة النص الأدبي » [٢] .

فالتجربة الشعرية لا تكتمل ولا يتحقق لها التأثير المأمول في نفس متلقيها إلا عن طريق الصورة الشعرية، وعن طريقها يحمل الشاعر المتلقي على المشاركة الوجدانية عن طريق إثارته لمشاعره وانفعالاته .

والصورة في شعر أديبنا تتضمن :

أولاً : الصورة الجزئية .

ثانياً: الصورة الكلية .

ثالثاً: المفارقة التصويرية .

ومن الصور الجزئية التي اعتمد عليها شاعرنا في رسم صوره الحسية ومزجها بشعوره وعاطفته، التشبيه، والاستعارة والكناية تمكيناً لتأثيرها في المتلقي، فلا شك أن هذه الصور لها دور كبير في إيضاح المعنى، ونقل الشعور يقول د. محمد غنيمي هلال : « الصورة الجزئية في الشعر كالألوان والخطوط، لها مادتها وكثافتها، ووضعها الخاص بها في مجموع العمل الأدبي » [٣] .

١- التشبيه : من تصوير الشاعر المعتمد على التشبيه قوله في قصيدة : «شاهد الدهر» [٤] : [البسيط]

وكفكم في الندى من مال أمتنا كباسطٍ كفّهُ من مالِ قارُونا

يقدم الشاعر نقداً لاذعاً لسياسة الحكام الذين يسومون شعوبهم الخسف والذل فيصف هؤلاء الحكام بالسفه في تبذير مال الأمة والإسراف في الإغداق على

---

(١) فن الشعر، د. إحسان عباس، (ص٢٣٠)، دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٩م .

(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر أحمد عصفور، (ص٣١٠)، دار المعارف .

(٣) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال (ص٤١٦) .

(٤) ديوان ويزهر السعد (ص١٤) .

أعداء الأمة منه وكأنهم لا يخشون نفاد هذا المال كأنه مال قارون ، فهم كرام مع الأعادي وهبوهم الأرض والمال ، مال الأمة ، بينما هم أشحاء على أبناء أمتهم، وخاصة إذا ما كان ذلك مما ملكت أكفهم .

ومارس الشاعر بأسلوب التشبيه عملية إسقاط سياسي على واقع الحكام الظالمين سخرية وتهديداً ووعيداً، بأن مصيرهم الخسف بالأرض في الدنيا، والعذاب في الآخرة، إن لم يغيّروا من أنفسهم، واستمروا على سياسة البطش والظلم .

ومن التشبيه قول الشاعر في قصيدة : « منائر القدس » [١] : [البسيط]

لكنَّ فينا سُيوفاً مُنذُ نشأتها ... لم تأْوِ يَوْماً إلى أَغْمادها أَنَفَا

يعنو لها الكون إجلالاً وقد رسختْ ... كالطّود ما لان للإعصار ما عصفا

وأمةٌ نَسْلُها في أَمْسها شُهُبٌ ... لن تَعدم اليوم أرحاماً ولا نُطفا

بعيننا سنرى في كلِّ ناحيةٍ ... لكل نَجمٍ هوى في أُفقنا خلفَا

فالشاعر في البيت الأول يشبه الأبطال المجاهدين بالسيوف المشرعة التي لم تأو إلى أغمادها يوماً في مضاء عزيمتهم وقوة إرادتهم .

ويصورهم كذلك في البيت الثاني بالطود العظيم، أي بالجبال العظيمة الراسخة ثباتاً وصموداً مهما اشتدت الأعاصير والعواصف .

والشاعر يستوحي هذه الصورة من قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة » [٢] .

كما يستوحيها من قول شوقي في نهج البردة [٣] :

وَالشَّرُّ إِنْ تَلْقَهُ بِالْخَيْرِ ضِقْتَ بِهِ ... ذَرْعاً وَإِنْ تَلْقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٣٠) .

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، ج٢، ص٥٣، رقم (١٩٢٣).

(٣) القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث، د. حلمي محمد القاعود (ص٦٣-٦٨)، والبيتان في الشوقيات (ص٢٢٢، ٢٢٣) .

دَعَوتَهُمْ لِجِهـــادٍ فيـــهِ سُـــؤدُدُهُمْ وَالحَربُ أُسُّ نِظامِ الكَونِ وَالأُمَـــمِ

فالقتال إنما شرع حماية للمسلمين ودينهم في مواجهة الكفر المتوحش، ويضرب شوقي مثلاً يؤكد سلامة المنهج الإسلامي في الدفاع عن النفس، حيث إن الخير لا يصلح في مواجهة الشرّ، بل لابدّ من شرّ يقابله كي يقضي عليه، فالجهاد أُسّ نظام الكون، حيث يراد الشر فيرده من يريدون الخير، من أجل الاستقرار والطمأنينة، وتستمر الحركة الإنسانية قائمة على أساس الصراع بين الخير والشر، والكفر والإيمان، والحق والباطل .

وشاعرنا قد تأثر بقول شوقي وأضاف على هذه الصورة صورة جديدة هي الثبات للمؤمنين كالجبال الصامدة التي لا تلين ولا تتزعزع في مواجهة الكفار، والشاعر بذلك لا ينهج نهج التقليد والاحتذاء بل يتأثر بسابقه ويضيف عليه، وهو لذلك يذكّر المسلمين بالنهج الظافر فيستدعي أبطال الإسلام الفاتحين ويصورهم بالشهب المضيئة التي يقتفي خلفها أثرها السالف في البيت الثالث .

وهذا التصوير أفاد نفض اليأس من النفوس المسلمة ودلّ على حرص الشاعر على مصير أمته، ومن ثم يضع نصب أعين الأمة قضيتها الكبرى في الجهاد، ويوقظها من غفلتها، ويأخذ بأيديها صوب النصر، ومن هنا امتزج التصوير بشعور الشاعر وعاطفته .

ويأتي التشبيه في البيت الرابع ليصور موكب الشهداء المتتابع بالنجوم اللامعة في الأفق التي إن هوى فيها نجم فلابد أن يخلفه نجم آخر تصوير يوحي بقوة التحدي وروح الصمود والإصرار، فالنصر محتوم للمسلمين المعاصرين كأسلافهم، متى التمسوا النهج الظافر، وساروا على الدرب .

ويجيء أسلوب التقديم في صدر البيت ليفيد التخصيص والقصر، فالنصر هو شأن المسلمين وحدهم لأن الله مولاهم وناصرهم (وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) [١] .

ومن التشبيه قول الشاعر في وصف هيئة شارب الخمر، في قصيدة «الخمر» [٢] : [البسيط]

---

(١) من سورة الأنفال الآية رقم (١٠) .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٦٥، ٦٦) .

كأنــه وهــو مــاضٍ في ترنُّحــهِ سـفينةٌ ضـلّ مجراهـا ومُرْسـاها

يُخالُ في صَحْوهِ نَسْراً علـى أكَـمٍ يَرْتادُ من قمـم الأجبـالِ أَعْلاهـا

حتى إذا رنّحتــه الكــأسُ تحســبهُ دجاجةَ الحقلِ بأسُ الدِّيكِ أعْيَاهـا

يصور الشاعر هيئة شارب الخمر في تمايله من شدة السكر؛ بالسفينة التي ضل مجراها ومرساها فأوشكت على الغرق والهلاك، تصويراً يعكس مدى قيمة العقل المغيّب الذي بدونه يصبح الإنسان بلا قائد أو هادٍ فيضيع في بحار الدنيا المتلاطمة، ويضل طريقه كالسفينة التي تصارع الأمواج العاتية دون رُبّانٍ، يحدّد مسارها والصورة طريفة كالصور التالية في البيت التالي: الذي يصور الإنسان في صحوه بالنسر المعتلي أعلى قم التلال والجبال، تصويراً يعكس قيمة العقل الإنساني الذي لم يُغيّب بسكر، فيرتقي في سماوات الفكر والتأمل الخصب.

وفي البيت الثالث: يصور هيئة شارب الخمر بدجاجة الحقل التي أعياها بأس الديك تصويراً يوحي بالسخرية والزجر لهذا الإنسان الذي ضيّع حمل الأمانة التي أودعها الله إياه، وحمل المتلقي على عدم الوقوع في تلك الهيئة المزرية ويلاحظ أن الشاعر قد خالف معظم الشعراء في تصوير أثر الخمر في نفوسهم فالمنخل اليشكري قال في وصف أثر الخمر على نفسه [١] :

فــإذا ســكرتُ فــإنّني ربُّ الخورنــق والسَّــدير

وإذا صــحوتُ فــإنني رب الشــويهةِ والــبعير

وحسان بن ثابت يقول في وصف أثر الخمر على نفسه [٢] :

ونشــربها فتتركنــا ملوكــاً وأُسْــداً مــا يُنهنهنــا اللقــاء

---

(١) الموسوعة الشاملة الأغاني للأصفهاني، ط٢، (ص١٢)، دار الفكر، بيروت.

(٢) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، شرحه وكتب هوامشه أ/ عبدا مهنا ، (ص٩)، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

ومن الصور التشبيهية قول الشاعر في مدح النبي (صلى الله عليه وسلم) [١]:

يا خيرَ مَنْ أَرْسَلَ الرحمنُ يــا عَلَمــاً وافيتَ والأرضُ في شوقٍ لِوَ مْــضِ

فكنت شمساً تُنير الــدَّاجياتِ وقــدْ أُحييتَ من فاضل الأخلاق ما وُئِدا

يشير الشاعر إلى خصائص النبي (صلى الله عليه وسلم) الربانية، فيصوره بالشمس التي أنارت ظلمات الجاهلية مستلهماً قول الله تعالى : (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً* وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً) [٢] .

والشاعر هنا تناول صورة مكررة، حيث تداول معظم الشعراء صورة تغيير الواقع الإنساني إلى واقع مضيء وأفضل بمجيء النبي (صلى الله عليه وسلم) .

يقول شوقي [٣] :

أَشــرَقَ النــورُ في العَــوالِمِ لَمّــا بَشَّــــرَهَا بِأَحمَــــدَ الأَنبــــاءُ

بِــاليَتيمِ الأُمِّــيِّ وَالبَشَــرِ المــو حــى إِلَيــهِ العُلــومُ وَالأَسمــاءُ

قُــوَّةُ اللَــهِ إِن تَوَلَّــت ضَــعيفاً تَعِبَــت في مِراسِــهِ الأَقوِيــاءُ

ويقول البارودي [٤] :

قد كان في ملكــوتِ الله مــدّخراً لدعوةٍ كان فيها صــاحبَ العلــمِ

نورٌ تنقّــل في الأكــوانِ ســاطِعُهُ تنقّلَ البدر من صــلب إلى رحــم

حتى اســتقرّ بعبــد الله فانبلجَــتْ أنــوارُ غُرّتــه كالبــدر في الــبُهم

فالصورة في الأبيات تركز على تصوير عالمين متقابلين هما العالم النوراني المنبعث من الشخصية المحمدية، وعقيدة الإسلام النّيرة، والعالم المظلم الكئيب الذي يصور مرحلة الجاهلية، ولذا نرى ثنائية النور والظلام .

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٥٠، ٥١) .

(٢) من سورة الأحزاب من الآيتين (٤٥، ٤٦) .

(٣) الشوقيات (ص١١٤).

(٤) كشف الغمة في مدح سيد الأمة، محمود سامي البارودي، (ص٤٦)، تقديم د. سعد ظلام، دار الشعب القاهرة، ١٩٧٨م .

٢- التشخيص في الصور:

اعتمد الشاعر في تشكيل صوره الشعرية على تشخيص وتجسيد المعاني المجردة، والتشخيص : «أرقى أنواع الخيال، وصورته إنسانية من أقوى أنواع الصور، فهو يجسد المعنى، ويبعث الحياة في الصلب الجامد، ويوجد الرموز للمحسوسات، ويجسم الأفكار التي تتخايل من وراء الصور وتقوم الحيوية فيه مقام البرهان العقلي، وهو الدليل الوجداني الناطق الذي لا يعرفه إلا الشعور» [١].

ومن التشخيص قول الشاعر [٢]:

أغارت عليها خيولُ الزمان وأجنادهُ أنجزتْ وعدَها

حيث صور تعاقب الزمان ونوائبه التي تعصف بجمال المرأة الجميلة بجيش قوي له خيول تغير وجنود بواسل تنجز الوعد بتحقيق النصر على سبيل الاستعارة المكنية، وفائدة التصوير بيان أثر الزمن في شدة التغيير وسرعته .

وعبر الشاعر إلى استدعاء الصور القديمة كما في قوله [٣] :

كنتُ فَرْخاً لكنني اليوم سِرْبٌ من نسور توّاقةٍ للرُّجوعِ

حيث صور نفسه في الصغر بالفرخ وتمثله من قول الحطيئة [٤] :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زغبِ الحواصلِ لا ماء ولا شجرُ

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمةٍ فاغفر عليك سلامُ الله يا عمرُ

«فقد عرف كيف يبلغ قلب هذا الرجل العظيم، ويترك فيه أعظم الأثر والبقاء»[٥] .

كما تابع الشاعر الشعراء في الخيال حيث صور نفسه والأبطال الأحرار بالنسور التّواقة للرجوع إلى موطنها الأصلي، فالنسور نموذج للقوة والرفعة والكبرياء والخلود ولهذا وفق الشاعر حيث اختار ذلك الطائر الذي يرمز إلى

---

(١) الصورة الأدبية تاريخ ونقد، د. علي علي صبح، (ص١٢٦)، طبع عيسى البابي الحلبي .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٣٨) .

(٣) المرجع السابق (ص٢٦) .

(٤) ديوان الحطيئة (ص١٠١)، شرح د. يوسف عيد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(٥) حديث الأربعاء، د. طه حسين، ج١، (ص١٣٣)، الطبعة الثالثة عشر، دار المعارف، القاهرة .

الطموح والحرية والرفعة والحركة السريعة التي جعلت أساساً لهؤلاء الأحرار الذين يتسمون بالقوة والرفعة كالنسور الطليقة في الأفق التي تأبى القيد أو الحبس أو المنع لإرادتها، ولهذا تتخذ بعض الدول العربية النسر شعارًا لها .

فالرمز الذي اعتمد عليه الشاعر في صورته هو الرمز الشفيف لا المستغلق الذي ينحو نحو الغموض .

٢- الصورة الكلية :

وكما اعتمد الشاعر على الرمز الجزئي في تشخيص صوره اعتمد على الرمز الكلي في تشخيص الصورة الكلية كما في قصيدة « السنديانة » .

فقد شخص شاعرنا الطبيعة بكائناتها حتى تحولت في شعره إلى رموز حية تعكس الواقع المعيش، والمستقبل المأمول، بأسلوب الحوار الذي يوضح الفكرة ويبرز المعنى، وهذه الصورة الكلية تلاحقت فيها صور جزئية لتظهر لنا صورة كلية حية متحركة تدل على خيال الشاعر الخصب، فالسنديانة تطاول الجبال، وتشمخ للأعالي، وتفخر على الجبال، وتحجب الشمس عن السنبلات الضعيفة التي لوى أعناقها الهزال، وتعضُّ بجذورها الصلبة كأنياب الثعابين، والسنديانة تغلي وتهيج، كليث الغاب في ساحة القتال، لطلب السنبلات إماطة غصونها عنها، وتفخر بالآباء العمالقة، وتسخر من العواصف، ولا تبالي بالخطوب، وجنود الريح تتجمع وتصطف بجانب السنديانة، والعواصف تُقبل غاضبات كذؤبان تحرّق وتبث العواصف دمارها في كل واد، وتزأر كالأسود في السهول وفي التلال، والسنابل تُطَأطِئُ جباهها ساجدات لله وتبتهل وتستغيث بالله لرفع الكرب، والسنديانة تدعو بالخبال عندما ماد جذعها وسقطت على الأرض .

صور مشخصة تنطق الجماد، وتحرك الساكن، وتدل على براعة الشاعر في رسم تلك الصور، فالسنديانة هنا رمز لاستطالة قوى البغي والباطل الضارب بجذوره في الأرض، والسنبلات رمز للشعوب الضعيفة المستذلة .

فالشاعر يشخّص الطبيعة ليتخذ منها معادلاً موضوعياً لنقد سياسة الحكام.

والمعادل الموضوعي هو « ألا يعبر الكاتب عن آرائه تعبيراً مباشراً بل يخلق عملاً أدبياً فيه مقوماته الفنية الداخلية التي تكفل تبرير الأحاسيس والأفكار للإقناع بها، بحيث لا يحس المرء أن الكاتب يفضي إليه بذات نفسه بإثارة

المشاعر دون تبريرها» [١] .

وهذه الصورة الكلية التي يشخصها الشاعر من خلال الطبيعة تعاونت فيها ألفاظ موحية وحركات وألوان، وصور جزئية، فالألفاظ الموحية تبدو في قول الشاعر: شموخ، للأعالي، السنديانة، شم الجبال، الشمس، غصونك، مطاولة الجبال، ليث الغاب، العواصف، العمالقة العوالي، الأشجار، أنياب الثعابين، سنبلات، جنود الريح، قاصفات الريح، ذؤبان تحرق، الصخور، وتبدو الأصوات في قوله : فخرت، شكت، سخرت، العواصف، تتحدث، قاصفات الريح، تزأر، وتبدو الحركات في شموخ، عضت، أميطي، لوى أعناقها، غلت، هاجت، تغشاني، أخشع، اصطفت، تنبذها، فطأطأت، وتبدو الألوان في الشمس، الجمال، الغلال، ذابلات، تحرّق .

وهذه الصورة الكلية لتلك الشجرة « السنديانة » تبدو فيها المشاركة الوجدانية للطبيعة والتجاوب معها وهو لون من التفكير الحسي، فالشاعر حين يتعانق والطبيعة تخضع الطبيعة للتشكيل الحسي لديه، وتخضع لفكرته فإذا هي صورة لفكرته وليست صورة لذاتها [٢] .

وتبرز الكناية في قول الشاعر :

دعينا نلق وجه الشمسِ يوماً فنسخو بالجمال وبالغلال

لتدل على مدى حاجة الشعوب إلى تنسّم ضياء الحرية، ويبرز أسلوب الحوار الذي يبرز المشهد في المواجهة بين الحق والباطل، وبث روح التحدي والبطولة في سبيل الخلاص من الظلم والطغيان والوصول إلى الحرية الغائبة عن سماء الوطن، وهي معان تفور في أعماق الشاعر فأبرزها في هذا الحوار[٣] : [الوافر]

أمِيطي من غُصونك ما عَلانا فإنَّا في حِماكِ بضيق حالِ

مُطاوِلَةُ الجبالِ غَلتْ وهاجتْ كليث الغاب في ساح القتالِ

---

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال (ص٣٠٧) .

(٢) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، (ص١٠٨)، ط٤، ١٩٨٤م.

(٣) ديوان ويزهر السعد، (ص٤٣- ٤٥) .

تقولُ أنا الــتي كَرُمَــتْ أصــولي وآبـــائي العمالقـــةُ العـــوالي
سخرتُ من العواصفِ طولَ دهري وتغشـــاني الخطــوبُ فمــا أبــالي
ولم تُـــوهِنْ لي الأيـــام عَظْمـــاً ولم أَخْشـــعْ لغـــارات الليـــالي
وكم تتحــدث الأشــجار عــني وأوصـــفُ بالمهابـــة والجـــلال
أتجـــرؤُ سُـــنبلاتٌ ذابـــلاتٌ فتشـــكوني وتمعـــن في جـــدالي
جنودُ الرِّيح بعضٌ مــن جنــودي إذا ناديتـــها اصْـــطفّت حيـــالي
سأدعو قاصفاتِ الــريِّح حَشْــداً لتنبـــذها بعيـــداً عـــن ظـــلالي
وأقبلـــت العواصـــفُ غاضـــباتٍ كـــذؤبانٍ تحـــرَّقُ للصّـــيال
تبـــث دمارهـــا في كـــل وادٍ وتـــزأر في الســـهول وفي الـــتلال
فطأطـــأتِ الســـنابلُ سَـــاجداتٍ لربِّ العـــرشِ في صـــدقِ ابتـــهال
أغثنا يـــا رحـــيمُ فكـــلّ كـــرْبٍ بغوثٍ منـــك وهْـــمٌ مـــن خيـــالِ
وجـــذعُ السِّـــنديانةِ مـــادَ حتّـــى هوت لـــلأرض تـــدعو وا خبـــالي
سعيتُ لمهلكـــي وطلبـــتُ حتْفـــي وأردايَ غُـــــروري واختيـــــالي
ولم أعْبـــأ بكيـــد الـــدَّهْر حتّـــى فُجعـــتُ بنخـــر لُبِّـــي واعْـــتلالي

ومن الصور التي اعتمد فيها الشاعر على الحقيقة قوله [1] :

وسيهزم النورُ الظلامَ علـــى يـــدي وسيغُمر الـــدنيا صـــدى صـــلواتي

فغلبة الحق للباطل، والنور للظلام، والخير للشر، في صراعهما الأبدي سنة كونية من سنن الله وهي أن الحق لابد أن ينتصر في النهاية لأن قوته الساطعة لن

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٨٦) .

يثبت أمامها قوى الباطل الواهي مهما استطال .

واعتماد الصورة على الحقيقة لا المجاز لا يقلل من أهميتها، « فقد تكون العبارات حقيقية الاستعمال، وتكون مع ذلك دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب » [١] .

ومن هنا تبرز صورة النور بجيش عظيم يهزم ظلام الباطل الدامس، ويوحي لفظ سيهزم ـ المقترن بسين الوعد والتحقيق على حد قوله تعالى : (سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر) [٢] ـ بأن الطريق إلى الحق ليس سهلاً ميسوراً بل يحتاج إلى قوة تسنده وتحميه وعدة وعتاد وأبطال مدافعين .

وتأتي كلمة « على يدي، وصلواتي » لتبين أن الكلمة هي التي تسبق السيوف وهي التي تدفع روح الإقدام، وتبث العزيمة الصادقة في النفوس، وتثبت الأقدام في اللقاء، وأن الشاعر بشعره رائد لأمته يحدو بآمالها صوب العزة والنصر.

ومن صور الشاعر التي تأثر فيها بالحديث الشريف قوله [٣] :

واجعلْ يمينك عُليا دونما سرفٍ وكنْ معيناً على الأحداث والنُّوب

فالشاعر يشير إلى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول وخير الصدقة عن ظهر غني » [٤] .

حيث كنى بـ« يمينك عليا » عن الجود والكرم والحث على الإنفاق في غير سرف .

ومن الصور التي اعتمد الشاعر فيها على المثل قوله مستدعياً شخصية الفاروق عمر (رضي الله عنه) :

أقصيتَ مُغْتصِبَ الأقصى وصُنْتَ مَجداً فجازَوْكَ سُوءَ الكَيْلِ والحَشَفا

فالبيت يتضمن صورة المقابلة بين صنيع سيدنا عمر يوم فتح بيت المقدس وصنيع المحتلين الذين جازوه سوء الكيل والحشف. والشاعر يعتمد على المثل

---

(١) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال (ص٤٣٢).

(٢) من سورة القمر من الآية (٤٥) .

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٩٠) .

(٤) الحديث في صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، ج٢، (ص١٢)، رقم الحديث ١٤٢٧.

العربي « أحشفاً وسوء كيلة » وهو مثل يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين[١] .

٣- المفارقة التصويرية :

تأثر شاعرنا فيها بجانب من التصوير الفني في القرآن الكريم، فكثيراً ما نجد في القرآن صورة الجنة تقابل صورة النار، وصورة الكفار والمنافقين تقابلها صورة المؤمنين، وهذه الطريقة في الأداء لها أثرها العميق في نفس المتلقي، لأنها تقوم على الجمع بين مشهدين مع إبراز ما فيهما من تناقض [٢] .

وقد تجلت المفارقة التصويرية في شعر أديبنا في تصويره أثر العقيدة الإسلامية ورسول الإسلام في حياة الناس كما في قصيدة: شاهد الدهر، والسيرة العطرة، ورسالة الخنساء .

كما برزت المفارقة التصويرية في تصوير موقف سيدنا عمر (رضي الله عنه) من الصليبيين وعقيدتهم وكنائسهم يوم فتح المقدس، وموقف اليهود منذ احتلال القدس إلى الآن من المسلمين وعقيدتهم والمسجد الأقصى .

حيث تجلَّت في الفاتح المسلم صورة السماحة والعدل فتعانقت مآذن المساجد مع أجراس الكنائس، يقول [٣] : [البسيط]

لا يُكْسَرَنّ صليبٌ أو يباحُ دمٌ ... ولا يُجَازَى امرؤٌ في غير ما افترقا

تألّفتْ في ديارٍ رحبةٍ مِللٌ ... فأورقَ السَّعْدُ فيها والزمانُ صفا

بينما برزت صورة اليهود « لعنهم الله » بالهدم لأقصانا وإنزال المجازر بالمسلمين :

قمْ واشْهَدِ اليومَ أقصانا تَعيثُ بِهِ ... شَرادِمٌ زادَها تفريطُنا صَلَفا

أرانبُ اسْتَأْسَدتْ واشْتدَّ مِخْلَبُها ... لّما سَدَلنا على أحداقِنا سُجُفا

---

(١) مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني، قدم له وعلق عليه نعيم زرزور، (ص٢٦٩)، ج١، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، والحشف: أردأ التمر.

(٢) يراجع قراءات في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد، (ص٨٠)، ط دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٢٩، ٣٠) .

جُحورُها زَلْزلتْ أركانَ مسجِدِنا وهاتفُ الموتِ في أسماعِهِ هَتَفا

والأهل في القدس أكباد مقرّحةٌ شريانُهم بمُدى إخوانهم نزفا

ومن المفارقة التصويرية التي اعتمد الشاعر فيها على التصوير القرآني قول الشاعر(١): [البسيط]

هل قُدَّ قلبكَ يا إنسانُ من حجرٍ فليس في شرعه لين ولا حدبُ؟

تجفو إلاهك في أَمْنٍ وتعرفهُ حقّ اليقينِ إذا حاقتْ بك النُّوبُ

بل الحجارةُ أسمى منه منزلةً إذْ بعضها من جلال الله ينشعبُ

على مدى الدَّهر لم ترقأْ مدامعها فمن محاجرها الأنهارُ تنسرب

نلمح التأثر بالتصوير القرآني للقلوب القاسية التي صارت أشد قسوة من الحجارة، في القسوة وتبلد الشعور، في حين أن الحجر قد يتفجر بالمياه ويبكي من خشية الله ويرق ليناً وخضوعاً للخالق ويهبط ويتفتت خشية للرحمان، كما في قوله تعالى : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون) (٢) .

وهذا التصوير البياني المتأثر بأسلوب القرآن الكريم له أثره العميق في نفس المتلقي وحمله على التفكر في حكمة الله سبحانه التي جعلت القلب الذي ينبغي أن يتأتى منه الرحمة واللين أشد قسوة من الحجارة في حين أن بعض الحجارة وهي ما هي صلابة وشدة تبكي من خشية الله فتتفجر بالمياه، بل وتهبط وتندك وتصير رماداً خوفاً لجلال الله سبحانه وتعالى .

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٧٤) .

(٢) من سورة البقرة الآية (٧٤).

المبحث الرابع
التجربة الشعرية

التجربة الشعرية تشمل « العمل الأدبي بكل عناصره الفنية شكلاً ومضموناً منذ اللحظة الأولى التي جعلت الأديب يفكر في عمله إلى أن يخرج هذا العمل إلى حيز الوجود في ثوبه الذي ارتضاه الأديب لقرائه ومتلقيه» [١] .

فالعاطفة هي التي تؤثر في اختيار الألفاظ والأسلوب والصور والمعاني التي يتخيرها الشاعر، وقد احتوى شعر أديبنا على تجارب شعرية تنبض بالصدق وتفيض بالعاطفة القوية الموحية .

المقاييس الجمالية للعاطفة :

إن الشاعر لكي يخلد أعماله الأدبية، عليه أن يحقق المقاييس الجمالية للعاطفة التي تبرز صفات المعايشة الكاملة للعمل الأدبي حتى تؤثر في نفوس المتلقين، ومن أهم هذه المقاييس ما يلي :

١- صدق العاطفة وصحتها لأنها « تنبعث عن سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع حتى تكون عميقة تهب الأدب قيمة خالدة » [٢] .

ونلمح صدق العاطفة المرتبطة بعروبتها وقوميتها والتي تهز وجدان المتلقي وتبث فيه القوة والحماسة نحو الحرية والاستقلال في قول الشاعر [٣] : [البسيط]

قمْ واشْهَدِ اليومَ أقصانا تَعيثُ بِـهِ ... شَـرادِمٌ زادَهـا تفريطُنـا صَـلَفا

أرانبُ اسْتَأْسَدتْ واشْتدَّ مِخْلَبُهـا ... لّما سَدَلنا علـى أحـداقِنا سُـجُفا

جُحورُها زَلْزلتْ أركانَ مسـجِدِنا ... وهاتفُ المـوتِ في أسماعِـهِ هَتَفـا

والأهل في القدس أكبـاد مقرّحـةٌ ... شريانُهم بمُـدى إخـوانهم نزفـا

كؤوسُ إخوانهم بالسَّـعد مترعـةٌ ... وكأسهمْ تنضح اللأواء والشَّـظفا

---

(١) التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق الفني، د. ناصر فؤاد بدوي، (ص٥)، ط١، دار الأرقم ١٩٩٣م .

(٢) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب (ص١٩٠)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٨، ١٩٧٣م .

(٣) ديوان ويزهر السعد (ص٣٠) .

ونلمح صدق العاطفة في مزج الشاعر للعاطفة الساخطة على الاحتلال بالعاطفة الممزوجة بالألم، لتخلي المسلمين عن نصرة إخوانهم في الأقصى، ونلمح عاطفة التهديد والوعيد للمحتل الغاصب، وعاطفة الأمل المتوثب في نفوس المسلمين بقوله[١] : [البسيط]

لكنَّ فينا سُيوفاً مُنذُ نشأتها ... لم تأْوِ يَوْماً إلى أَغْمادها أَنَفا

يعنو لها الكون إجلالاً وقد رسختْ ... كالطّود ما لان للإعصار ما عصفا

وأمةٌ نَسْلُها في أَمْسها شُهُبٌ ... لن تَعدم اليوم أرحاماً ولا نُطفا

بعيننا سنرى في كلِّ ناحيةٍ ... لكل نَجمٍ هوى في أُفْقنا خلفَا

ونجد العاطفة القوية الحزينة في الشعر الذي يوازن بين حال المسلمين وواقعهم المظلم وماضيهم الزاهر كما في قوله [٢] : [البسيط]

لهفى على أُمَّةٍ كانت موحَّدةً ... أرضاً وشعباً وإيماناً وتكويناً

فرحتمو تقسمون الأرض بينكمو ... مُبْقين ما شئتمو منها ومهدينا

وتنسبون إلى الإنصاف أن ذهبوا ... شراذم الأرض حقاً في أراضينا

وتبدو عاطفة التهديد والوعيد للحكام الظالمين في قول الشاعر [٣] :

لا تحسبوا مُقْلة التاريخ غافلةً ... أو الشُّعوبَ على الإذلالِ مُغْضينا

فجذوةُ الحقِّ والإيمانِ في دَمِنا ... سَتُضرمُ الأرضَ بالباغي براكينا

وتبدو العاطفة القوية التي يصب الشاعر فيها مشاعر السخط والتهديد والوعيد بالنهاية الحتمية للحكام الظالمين في قوله [٤] : [الوافر]

---

(١) ديوان ويزهر السعد (ص٣٠) .
(٢) المرجع نفسه (ص١٤) .
(٣) المرجع نفسه (ص١٥) .
(٤) ديوان ويزهر السعد (ص٤٥) .

وكَــفُّ الــدَّهرِ صــامتةٌ لعــوبٌ تُجنّــدِلُ بــالخفيِّ مــن النِّبــال
فبيْنــا يشْــمخُ الجبّــار تيهــاً إذا هــو رمّــةٌ في اللّحــدِ بــالي
ويطمــع كــل بــاغٍ في خلــودِ وفي جنبيــه أســبابُ الــزوالِ

٢- سمو العاطفة وقوتها :

فالأديب الحق هو الذي يسعى إلى « إحياء العاطفة وتنمية المشاعر وترقية الأحاسيس سواء كان ذلك عن طريق بعث العواطف التي تنهض بحياة الناس وتعميق إحساسنا بالحياة، وتقويم صلتنا بها عن طريق تخطّي القشور الخارجية إلى النفاذ إلى جوهر ما تزخر به من مظاهر وأحداث» [١] .

فالذي يستثير المشاعر ويؤثر فيها إنما هو الأدب الرفيع لا الشعر الخالي من الفكرة والعاطفة، والذي لا يمثل أهمية في دفع المتلقي إلى النهوض بالحياة نحو الأفضل .

ومن العواطف السامية التي عمل شاعرنا على إحيائها في النفوس، مشاعر الأمل، والثقة في نصر الله، واستشراف مستقبل أبلج ينتصر فيه الإسلام من غير ريب، فنجد العاطفة الفخورة بحضارة الإسلام المشرقة ونبيّ الإسلام في قول الشاعر [٢] : [الكامل]

ودولةً من جبين الشَّمسِ مُهْجَتــها مَدَّت إلى مُهْجةِ الــدنيا شــراييناً؟
دستورها فــاطر الأكــوان أنزلــه وزادهــا برســول منــه تمكينــا
نبيُ صِدْقٍ مُلــوكُ الأرض ترْهَبــهُ والعبدُ يَلْقى لديه البِشْــرَ واللّينَــا
في كفّهِ يَنتهي بَحْرُ النّــدى وبهــا يُســائل اللهِ أَنْ يلقــاهُ مســكينَا
بــه هَــدى اللهُ للإيمــانِ أفئــدةً تُرْضــى بمعصــيةِ اللهِ الشــياطينَا

---

(١) أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب (ص٤٠٢) .
(٢) ديوان ويزهر السعد (ص١٢، ١٣) .

وَلَمَّ بِالرِّفْقِ أعــداءً علــى حَــرَدٍ إلى الفَناءِ بحــدِّ السَّــيْفِ ماضــينا

ورفرفتْ في تُخــومِ الأَرْضُ رايتُنــا نَسْقى الحضارات مِن عذبٍ وتسقينا

حتى نسجْنَا خيوطَ المجــدِ، لُحْمَتُــهُ في كفّنــا وسَــداهُ في حواشــينا

ونجد العاطفة السامية المحبة لأبناء أمته من خلال نصائحه وحكمه التي يوجهها لهم في قوله :

لا ضَيْر إنْ عثرت جيــادك مَــرّةً أَيُّ الجياد سمــا عــن الكبــواتِ؟

لابُــدَّ للأمهــارِ بعــد عثَارهــا أن تســتعيدَ إمــارةَ الحلبــاتِ

قومي بسيف ابن الوليد ومهّــدي سُــبُلَ العُــلا بيراعــةٍ وقنــاة

قومي اسبقي الأيام وابــني مجــدها لا تــرقُبي مَــدَّ الزمــان الآتي

قومي وقــولي للخلائــق: واهــمٌ من ظنَّ أنّي قــد فقــدتُ حيــاتي

فالبحرُ يُرهَبُ بعــد جــزرٍ مــدّهُ وشذا الربيع يضوع بعــد سُــباتِ

وهي عاطفة دينية استدعت معاني الشهادة في سبيل الله لتحقيق الحرية، والنصر بالتذكير بالمجد التاريخي للإسلام وأبطاله، وبهذا يمهد الشاعر للبعث الحضاري بكل مقوماته .

المبحث الخامس
الوحدة العضوية

القصيدة تتسم بالقوة فتؤثر في المتلقي إذا حدث الترابط والتماسك بين أفكارها، والتواؤم الفني بين المعاني، وبتلك الوحدة الفنية يتكامل القصيد وتدبّ فيه الحياة، لأن طبيعة الشعر الغنائي أن يكون «انفعالات يتلو بعضها بعضاً وليس انفعالاً واحداً متصلاً» (١).

وهذه الوحدة هي التي عناها « ابن طباطبا» بقوله : «يجب أن تكون القصيدة كلُّها ككلمةً واحدة في اشتباه أولها بآخرها نسجاً وحسناً وفصاحة وجزالة ألفاظ ودقة معانٍ وصواب تأليف، ويكون خروج الشاعر من كل معنى يصفه إلى غيره من المعاني خروجاً لطيفاً» (٢).

بمعنى أن يجيد الشاعر الربط بين أفكار القصيدة، كما يجيد استخدام الأسلوب الأمثل لأغراضه، بحيث تكون الألفاظ جزلة في موطن القوة، ورقيقة في موطن الرقة، فالمطلوب هو تحقق وحدة الموضوع، ووحدة الأسلوب، ووحدة الموقف النفسي الممتد خلال القصيدة، وهذا هو الفهم الصائب للوحدة العضوية التي يمكن تطبيقها على الشعر الغنائي وليس كما ذهب بعض النقاد في العصر الحديث «كالعقاد» الذي يقول عن هذه الوحدة : «إن القصيدة ينبغي أن تكون عملاً فنياً، يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه، بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخلّ ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها، فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي، يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته ولا يغني عنه غيره في موضعه، إلا كما تغني الأذن عن العين، أو القدم عن الكفّ، أو القلب عن المعدة، أو هي كالبيت المقسّم، لكل حجرة منه مكانها وفائدتها وهندستها» (٣).

---

(١) قضايا النقد الأدبي الحديث، د. محمد السعدي فرهود، (ص١١٦)، ط١، ١٩٦٨م، دار الطباعة المحمدية .

(٢) عيار الشعر لابن طباطبا، (ص٢١٣)، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، طبعة دار العلوم، ١٤٠٥هـ / ١٩٩٨م .

(٣) الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني، (ص١٨٥)، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م .

فهذه الوحدة التي نادى بها العقاد قلّما تتحقق في الشعر الغنائي، بل تتحقق في الشعر الملحمي والمسرحي، فهي « أرسخ ومقاييسها أوضح لأنها ترجع إلى ترتيب أجزاء الحكاية أو الخرافة، وأثر ذلك في نفسية الأشخاص وتوالي الأحداث، فإذا اختلت الوحدة بأن نقلنا منظراً مسرحياً إلى غير مكانه، أو جزءاً من الملحمة إلى غير موضعه، انهار العمل الفني من أساسه، أما وحدة القصيدة فمقاييسها ترتيب أجزاء الفكرة، ونمو الصور، ودلالة النمو على الحركة الشعرية» [١].

فالوحدة في الشعر الغنائي هي وحدة مشاعر وأحاسيس في المقام الأول ثم وحدة الموضوع، وتوفر التجربة وعرضها عرضاً متماسكاً يلائم المشاعر التي أثارها الموضوع .

والناظر في ديوان «ويزهر السعد» يجد تحقق الوحدة العضوية في معظم قصائد شاعرنا ذات الموضوع الواحد، والمشاعر الواحدة كما في قصائد الشعر الوطني : «منائر القدس»، «السنديانة»، «عودة النسور»، «رسالة الخنساء» .

حيث نحا فيها الشاعر المنحى القصصي بوحدة الموضوع وتسلسل الأحداث وترتيبها داخل القصيدة واستقصاء المعاني الخاصة بكل فكرة على حدة في صورة متتابعة، تؤدي في النهاية إلى صورة متكاملة في الرؤية والتصور .

فالشاعر يعتمد على العنصر القصصي فيستفيد من القصة بعض الوسائل الفنية التي يستخدمها كل قاص بارع، كالتشويق، والإثارة، والحبكة، والتعبير الدرامي، واللغة التفصيلية الموحية، ولهذا نرى الترابط والانسجام، والوفاء بحق الفكرة العامة.

وأيضاً في شعره «الاجتماعي» نرى وحدة الموضوع والمشاعر وترتيب الأفكار كما في قصائد «إلا ما سعى»، و«هكذا دواليك»، «المعلم»، «الخمر»، «دموع الحجارة»، «سبيل الدعوة» .

فمن تحقق الوحدة الموضوعية والفنية عند شاعرنا قصيدة «الخمر» فقد نحا فيها الشاعر المنحى القصصي، فالموضوع الذي تدور حوله هو بيان أضرار الخمر وأثرها في عقل الإنسان، وحكمة الله في تحريمها .

---

(١) في الأدب الحديث، د. عمر الدسوقي، ج٢، (ص٢٥١)، ط٨، ١٩٧٣م، دار الفكر العربي.

فقد بدأها الشاعر بالتأمل في نعم الله على عباده وفي مقدمتها نعمة خلق الإنسان ثم إمداده بنعمة العقل الذي هو رائد النفس في الهدى أو الضلال مستلهماً قوله تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) [١] .

وكيف أن العقل هو الذي يقود النفس إلى المعالي والمكارم أو يغويها بالضلال . يقول الشاعر [٢] :

سبحان مَنْ قد بَرَا نفساً فسوّاها ... فُجُورها منهُ إلهامٌ وتقواها

وأوْدعَ العقلَ فيها من بدائعهِ ... لولاه لم تعرف العُبَّادُ مولاها

لولاهُ ما شُغلتْ نفسٌ بِمكْرمةٍ ... أو لارْتضت نهج شيطان فأغواها

وينتقل الشاعر انتقالاً طبيعياً لا فجائياً فيأتي بالحكمة التي تؤكد قيمة العقل منددا بمن يعطلون عقولهم بالخمر، مصوراً هيئتهم في صور منفرّة تثير السخرية والاشمئزاز يقول: [البسيط]

والنفسُ إنْ عطّلتْ عقلاً تعزّ به ... ضلّتْ مراكبها والجهلُ أعْماها

لا بارك الله في كأسٍ معتّقةٍ ... لما غدا العقل من أشقى ضحاياها

أمّ الخبائث يا تعْساً لعاصرها ... وتاجرٍ رزْقُهُ من جُرح قتلاها

لو لم تكن خَبَثاً ما قَاءَ شاربُها ... وخانهُ رشده لما تحسَّاها

كأنَّه وهو ماضٍ في ترنُّحهِ ... سفينةٌ ضلّ مجراها ومُرْساها

يُخالُ في صَحْوهِ نَسْراً على أكَمٍ ... يَرْتادُ من قمم الأجبالِ أَعْلاها

حتى إذا رنّحتهُ الكأسُ تحسبهُ ... دجاجةَ الحقلِ بأسُ الدِّيكِ أعْيَاها

يكفيك من إثمها مقت الإله لها ... وأنّ مادحها قد عاند الله

هذه الصور تدفع الشاعر إلى التعجب ممن يحتسي الخمر رغم علمه بحرمتها

---

(١) من سورة الشمس من الآيتين رقم (٧، ٨) .

(٢) ديوان ويزهر السعد (ص٦٥).

ومقت الله لها، ويبين الشاعر بأسلوب النقد الموضوعي موقفه من تلك الشخصية السلبية الضعيفة التي لا تقدر على مواجهة الصعاب، فتلجأ إلى حيلة بائسة، وهي شرب الخمر، لتنسيها المعاناة التي لا تلبث أن ينشأ عنها معاناة أخرى تضر بصاحبها وبالأسرة وبالمجتمع بأسره، فيقدم الشاعر أمثلةً حية واقعية نراها بأعيننا كل يوم فيقول:

فاعجبْ لمن كان ذا علمٍ بحرمتها ... كيف ارتضاها على علمٍ وأطراها

وإن دهته صروفُ الدهر عالجها ... بالكأسِ مترعةً حتى تناساها

حتى إذا ما صحا ألفى مصائبَه ... ناراً تأجَّجُ والإهمال أذكاها

كم أضرمت شُعَلَ البغضاء أواصرُ ... الود أنكاثاً بمسعاها

كم في اللحود ضحايا من حوادثها ... سل المقابرَ عن أخبار موتاها

فرب مركبةٍ مادت بقائدها ... فغيبته المنايا في طواياها

وأسرةٍ مُزّقت بالخمر لحمتُها ... وعاصفات النوى زادت بلاياها

في كل ليل لها في الضّرّ نائبةٌ ... في رحلة العمر آلام حكاياها

ما غادرت كبداً إلا مفطرةً ... في قبضة الموت قد حارت أطبّاها

وبعد أن وفق شاعرنا في استدراج المتلقي وإثارة انتباهه للمآسي التي يصلى بنارها شارب الخمر، بل تنال المجتمع كله يختم قصيدته بالحكمة من تحريم الله للخمر فيقول :

فمن رجا عيشةً فيها سلامته ... فشرعةُ الله لا تخفى مزاياها

ما حَرّم الله إلا كلّ ذي ضررٍ ... أسرار حكمته دقّتْ خفايا

فالأفكار مترابطة متسلسلة، والصور تتعانق مع تجربة الشاعر وعاطفته ولهذا قويت الوحدة في القصيدة .

كما برزت الألفاظ الموحية التي تدل على الموقف النفسي لشاعرنا، وتعبر

عن روح الحزن والألم لمأساة المجتمع الإسلامي على أيدي شاربي الخمر، وتعبر عن حجم المأساة التي يصورها الشاعر بأسلوب القصّ الشعري مثل : « حتى إذا رنحته الكأس، مادحها قد عاند الله، كيف ارتضاها، دهته صروف الدهر، حتى إذا ما صحا، ألفى مصائبه، ناراً تأجّج، كم أضرمت شعل البغضاء، فانتقضت أواصر الود، كم في اللحود ضحايا، سل المقابر عن أخبار موتاها، في كل ليل، لها في الضر نائبة، آلام حكاياها .

وتأتي الصور المحكمة والمعاني المعبرة عن حجم المأساة، وأثرها على المجتمع كافة كما في قول الشاعر:

كم أضرمت شعل البغضاء أواصر الود أنكاثاً بمسعاها

حيث صوَّر الخمر بالنار المشتعلة التي تقطع أواصر الود والرحم والقرابة وتشعل نار البغضاء في النفوس، والشاعر متأثر بقوله تعالى: (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً) [١] .

ومن الصور المعبرة التي تدل على تعاضد الصورة مع عاطفة الشاعر قوله :

وأسرةٍ مُزّقتْ بالخمر لحمتها وعاصفاتُ النّوى زادتْ بلاياها

حيث صور الخمر بالسيف القاطع الذي يمزق شمل الأسرة الواحدة، والتشديد في مُزّقت والبناء للمجهول، يدل على حدة الفعل وسرعته وفجاءته وفائدة الصورة التحذير من آثار الخمر المدمرة لكيان الأسرة الواحدة.

كما صوَّر الشاعر الآثار المدمرة للخمر بالرياح العواصف التي تزيد البعد وتحل الفراق وتزيد البلاء بالأسرة الواحدة فضلاً عن المجتمع الواحد، وفائدة التصوير للخمر بالريح العاصفة تعبير مستمد من القرآن الكريم في قوله تعالى : (رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيم * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا) [٢] .

ومن الصور التي اعتمد فيها الشاعر على الحقيقة قوله : [البسيط]

كم في اللّحود ضحايا من حوادثها سَلِ المقابرَ عن أخبارِ موتاها

---

(١) من سورة النحل من جزء الآية (٩٢) .

(٢) من سورة الأحقاف جزء من الآيتين (٢٤، ٢٥) .

فـــرُبَّ مركبـــةٍ مـــادت بقائـــدها فغيَّبتـــــه المنايـــــا في طواياهـــــا

في كل ليلٍ لهـــا في الضُّـــرِّ نائبـــةٌ في رحلـــة العمـــر آلام حكاياهـــا

فصور الضحايا من حوادث الخمر الذين يملئون المقابر، صور حقيقية واقعية حية يراها الناس بأم أعينهم كل يوم، كما إن صور المركبة التي تحيد بقائدها وتغيبه تحتها صور حقيقية، واعتماد الصورة على الحقيقة لا المجاز لا يقلل من أهميتها.

وبذلك يضع الشاعر الأمة أمام مسئولياتها بذكر هذه الآلام التي توقظ الناس وتذكرهم بالنصح تارة، والتهديد تارة أخرى، وتأخذ بأيديهم إلى السير على منهج الله وبذلك أصبحت « القصيدة كلها تسير بجميع طاقاتها وقيمها وعناصرها وأصولها الشعرية في اتجاه واحد، وتمشي في خطى منتظمة من بدء القصيدة إلى ختامها دون اضطراب أو خلل أو تناقض مع فكرة القصيدة وموضوعها»[١].

(١) دراسات في الأدب المعاصر، د. محمد عبد المنعم خفاجي، (ص٢٧)، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة .

المبحث السادس
الموسيقى الشعرية

الموسيقى من أهم العناصر التي نتعرف من خلالها على مدى قدرة الشاعر على الملاءمة بين عواطفه وموضوعه .

وتعتمد الموسيقى في شعر شاعرنا على ركيزتين أساسيتين :

الأولى : تتمثل في الموسيقى الخارجية، وتتمثل في الوزن والقافية .

والثانية: الموسيقى الداخلية، وهي التي تنشأ من عناية الشاعر بانتقاء ألفاظه مما يعبر عن انفعالات الشاعر وعواطفه، وتسمى بوحدة النغم التي تمثل الحالة النفسية التي عاناها الشاعر .

وهذه الموسيقى التي توحي بوحدة الإيقاع هي « المقياس الدقيق الذي نستطيع من خلاله أن نتفهم روح الشاعر وندرك أصالته، ونتعرف عناصر فنه، وأنها أثر لكل العناصر الفنية المجتمعة في شعر الشاعر من عاطفة وفكرة ولفظ وخيال وصورة، وفي الوقت نفسه بعيدة عن مجال الصنعة» [(١)].

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية في شعر أديبنا : دقة اختياره للألفاظ وتلاؤمها مع بعضها، مما يحقق الانسجام والتآلف بينها، فالشاعر حين يصور أمجاد أمة الإسلام وماضيها الزاهر نجد الألفاظ مشرقة بالأمل، وتكون غاصة بالألم حين يصور واقع أمته المنحدر، وتأتي قوية هادرة حين يحث أبناء أمته على الثورة، وتأتي ذات إيقاع ساخر منفر حين يتناول بالنقد اللاذع سياسة الحكام، أو الأدواء الخلقية المتفشية في مجتمعه، وبذلك تجلت الموسيقى الداخلية في شعر أديبنا بملاءمة اللفظ للمعنى بأن « يتلاءم اللفظ مع معناه، وينسجم الغرض مع شكله، ويتألف الهدف مع صورته، فيصير اللفظ على نظام المعنى» [(٢)].

فنرى الإيقاع الموسيقي القوي المؤثر الذي ينفعل معه المتلقي ببث إشراقة الأمل والثقة في نصر الله في قول الشاعر : [البسيط]

---

(١) البناء العروضي للقصيدة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، (ص٤٢)، ط١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

(٢) البناء الفني للصورة الأدبية (ص٢٦٠) .

لكنَّ فينـــا سُـــيوفاً مُنـــذُ نشـــأتها لم تـــأْوِ يَوْمـــاً إلى أَغْمادهـــا أَنَفَـــا

يعنو لها الكون إجلالاً وقد رسختْ كالطّود ما لان للإعصار ما عصـــفا

وأمةٌ نَسْـــلُها في أَمْســـها شُـــهُبٌ لن تَعدم اليوم أرحامـــاً ولا نُطفـــا

بعينننـــا ســـنرى في كـــلِّ ناحيـــةٍ لكل نَجمٍ هـــوى في أُفقنـــا خلفَـــا

فالألفاظ تتناسب بإيقاعها الثائر الهادر مع المعاني التي أراد الشاعر إبرازها وهي بث روح الأمل والثقة في نصر الله في النهاية حتى وإن أبطأ .

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية في شعر أديبنا كثرة التكرار وقد اتضح في سمات الأساليب الفنية، ومنها كثرة الطباق والمقابلة، والتصدير، أو ما يعرف برد العجز على الصدر، والإرصاد، وهي أساليب تعمل على زيادة الموسيقى في اللفظ وتزيد المعنى وضوحاً وتأكيداً .

فمن الطباق الذي جاء عفو الخاطر بغير تكلف أو تصنع، بل تطلبه المعنى قول الشاعر :

وسيهزمُ النورُ الظلامَ علـــى يـــدي وسيغْمر الـــدنيا صـــدى صـــلواتي

فالطباق بين « النور والظلام » يقوي المعنى وهو أن الحق لابد أن ينتصر في النهاية، لأن قوته الساطعة لا يثبت أمامها الباطل بظلامه الدامس .

ومن طباق السلب الذي يجمع فيه الشاعر بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي كما في قول الشاعر :

وعلى مرسل الريـــاح اعتمـــادي فأطيعي يـــا ريـــح أو لا تطيعـــي

فأوحى الطباق بين [فأطيعي أو لا تطيعي] بالإصرار وقوة العزيمة والإرادة الصلبة في الرجوع إلى الوطن وتحريره .

وفائدة الطباق أنه « يعطي تنوعاً في النغم، ويحرك الشعور، ويوقظ العقل ويثير العاطفة، فتغني الموسيقى في اللفظ ويزاد المعنى وضوحاً وتأكيداً» [١].

ومما يتصل بالطباق لما فيه من معنى التضاد لون بديعي آخر وهو

---

(١) البناء الفني للصورة الأدبية، أ.د علي علي صبح، (ص٢٧٣) .

«المقابلة» وهي « عبارة عن تقابل المعاني والتوفيق بين بعضها وبعض، حتى تأتي في الموافق بما يوافق وفي المختلف بما يخالف على الصحة» [١].

كما في قول الشاعر :

أكبرتُ نبراساً نَشَرْتِ ضياءه في الأرض يَجْلوَ حالكَ الظّلماتِ

فقد قابل الشاعر بين جملة « نبراساً نشرت ضياءه» وجملة «يجلو حالك الظلمات» وفائدة المقابلة : تركيز الشاعر على تصوير عالمين متقابلين هما : العالم النوراني المنبعث من عقيدة التوحيد النّيرة، والعالم المظلم الكئيب الذي يصور مرحلة الجاهلية، أو مرحلة الكفر .

ومن الألوان البديعية التي اشتمل عليها شعر أديبنا «الإرصاد» وهو أن «يجعل ما قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروى»[٢].

وهذا اللون البديعي يجعل القارئ كأنه شريك للشاعر في شعره، من ذلك قول الشاعر:

لا ضَيْر إنْ عثرت جيادك مَرّةً أيُّ الجياد سما عن الكبواتِ؟

فقد دلت على القافية كلمة «عثرت» لكنه آثر الكبوات دون العثرات تأثراً بالمثل العربي «لكل جوادٍ كبوة» .

ومن الإرصاد قول الشاعر:

توحدت في ظلال الخوف أفئدةٌ تظل في ساحة اللذات تحترب

فقد دلت على القافية « ساحة اللذات » التي توحي بالتصارع والتقاتل والاختلاف .

ومن الألوان البديعية التي وردت في شعر أديبنا أيضاً : « رد العجز على الصدر » وهو أن « يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض،

---

(١) سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة وتحليل، (ص١٢٨)، د. عبد الرازق أبو زايد، مكتبة الشباب .

(٢) المعجم المفصل في علوم البلاغة، د. إنعام فوال عكاوي، (ص٦٠)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م .

ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك، وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقاً وديباجة ويزيده مائية وطلاوة» [١].

ومنه قول الشاعر: [الخفيف]

وتألفــــت أمـــم شـــتيت شملـــها ونكبـــت بَعـــد تـــألّفٍ بشـــتاتِ؟

فقد رد عجز البيت « تألف بشتات » على صدر البيت «تألفت ـ شتيت» .

أما الموسيقى الخارجية المتمثلة في الوزن والقافية، فقد حافظ « أديبنا على وحدة الوزن والقافية ولم يخرج على شكل القصيدة العربية «الشعر العمودي» فيما يسمونه بالنثر الشعري، أو شعر التفعيلة، أو الشعر الحر أو المرسل .

ولعل أديبنا لا يؤيد الرأي القائل: بأن لكل بحر معنى معيناً، لأن المسألة محض تذوق فني قائم على الذوق الأدبي، ولأن العاطفة هي التي تدفع الشاعر بإيقاعها إلى اختيار الوزن الملائم، «فصورة البحر الصوتية صورة مجردة تكتسي لحماً ودماً عندما يصاغ الشعر على أوزانها، فيأخذ النغم من الكلمات والجمل معنى آخر يضاف إلى هذه الصورة الصوتية المجردة [٢].

وهذا هو الرأي الصائب فليس لكل بحر موضوع خاص ، ولهذا نظم أديبنا في البحر الواحد أغراضاً مختلفة، ومن أكثر الأوزان التي نظم الشاعر عليها قصائده، بحر البسيط، يليه بحر الكامل، ثم الخفيف، ثم الوافر، ثم المتقارب .

ومما يتصل بالوزن والإيقاع والنغم الموسيقى : « التصريع » وهو « ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته » [٣].

وفائدة التصريع في الشعر: أنه يشبه مقدمة موسيقية خفيفة قصيرة تلهب إحساسنا وتهيئنا لاستماع قصيدة الشاعر وتدلنا على القافية التي اختارها [٤].

وقد أتى شاعرنا بالتصريع في بدء قصائده فجاءت معظم مطالع القصائد مصرعة، ففي قصيدة : «شاهد الدهر» يقول:

---

(١) العمدة لابن رشيق، (ص٥٦٠)، ج١، ط١ .

(٢) يراجع الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، د. محمد حماسة (ص١٩٧- ١٩٩)، وموسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس (ص١٧٧- ١٧٩)، ومفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، د. جابر عصفور، (ص٣٣٤-٣٣٧) .

(٣) الموسيقى الشعرية قيم وإلهام وأصول، د. نادية مسعد، (ص٢٢٣)، ط١، ٢٠٠١م .

(٤) الشعراء وإنشاد الشعر، د. علي الجندي، (ص١٣٤)، ط دار المعارف مصر .

تمضي الليالي سهاداً فــوق وادينــا يا ناثر النــور في داجــي ليالينــا

وهي من بحر البسيط التام « مستفعلن ــ فاعلن ــ مستفعلن ــ فاعل في كل شطر وهذا تصريع ؛ لأن حكم العروض أن تكون مخبونة، فجاء بها مقطوعة لتتوافق مع الضرب المقطوع .

وتعد ظاهرة التقفية في مطالع قصائده من سمات شعره الموسيقية كما في قوله:

حبّة القلبِ كمْ أضــأتُ شمــوعي ثم أطفأتُهــــا بِمَمْــــر دمــــوعي

هذا من بحر الخفيف العروض تام صحيح والضرب تام صحيح ولا يؤثر في حكمه حدوث الخبن ، فهذا ليس تصريعًا وإنما هو تقفية لمساواة العروض للضرب في الوزن والروي دون تغير في العروض .

وشاعرنا قد سلك مسلك الفحول يقول قدامة بن جعفر: «إن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ــ أي التصريع ــ ولا يكادون يعدلون عنه»[١].

وأما القافية فهي بمثابة « الفواصل الموسيقية يتوقع السامع ترددها، ويستمتع بمثل هذا التردد، الذي يطرق الآذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن» [٢].

وقد جاءت قوافي شاعرنا جيدة مختارة يتطلبها المعنى ويقتضيها المقام بل تدفع إليها عاطفة الشاعر، كما جاءت في معظمها مطلقة مما أثّر في الإيقاع الصوتي الذي يتيح للشاعر مساحة أكبر في التعبير عن عواطفه من مدّ الصوت والإيقاع الطويل، ومن القوافي التي جاءت متممة لموسيقاها وجاءت جزلة قوية معبرة قوله: [الخفيف]

يا رُبوعــاً مهمــاً تناءيــت عنــها يتنــامى وجــدي بهــا وولــوعي

يَعْتــــريني عبيرهــــا مثــــل أمٍّ يعتــري حبــها كيــان الرَّضــيعِ

أنــا آتٍ ولــو تعــرَّجَ دَرْبِــي فــدليلي أنفــاس تلــك الربــوعِ

---

(١) نقد الشعر، (ص٤٢)، تحقيق كمال مصطفى، ط١، ١٩٤٨م، مكتبة الخانجي .

(٢) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، (ص٢٤٦) .

لا تشـــكّي حبيـــبتي بإيـــابي وارصديني فقد نشـــرت قلـــوعي

وعلى مرسل الريـــاح اعتمـــادي فأطيعي يـــا ريـــح أو لا تطيعـــي

أنـــا آتٍ بـــرغم عُمـــقِ جِراحـــي وحصاري وبُعْـــد داري وجـــوعي

فالتشكيل الإيقاعي يتناغم ويتناسق مع معاناة الذات التي يتعرض لها شاعرنا، ويرزح مكبلاً في أغلالها، من شدة الحنين إلى الوطن وتمني العودة، ولذلك يلحظ هيمنة حركة الكسر ليس على الروي وحركته فحسب، بل إن ذلك يمتد إلى حبل الأبنية اللغوية في النص حيث وقعت تحت وطأة هيئات الجر المتتابعة، فلا يخفى على الكثيرين منا ما لحركة الكسر من أثر فاعل في تصوير انكسارات النفس، ومعاناتها، فما تبعثه هذه الحركة من شعور النفس بالضعف والانهزامية، لا يمكن أن تجود بأفضل منه حركتا الضم والفتح .

«وهذا ما يؤكد أن موسيقى الشعر لا تأتي وفاقاً أو اعتباطاً، وإنما نتيجة تفاعل بين الذات والموضوع، ويجعل الشاعر يدرك بطبيعته الفنية نوع الإيقاع الموسيقي الذي يتلاءم والإطار العام لتجربته» [١].

---

(١) شعر شوقي الغنائي والمسرحي، د. طه وادي، (ص٣٧)، ط٣، ١٩٨٥م، دار المعارف.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد .

فهذا ما منَّ الله به في هذا البحث الذي دار حول هموم الوطن وقضاياه في ديوان «ويزهر السعد» للشاعر محمد توكلنا دراسة موضوعية وفنية .

برز من خلالها كيف كان لهموم الأمة النصيب الأكبر في ديوان شاعرنا مما يدل على معايشة الشاعر لقضايا أمته نحو الحرية ومعاناته آلامها، فظل ضمير شاعرنا ينتفض ويحرض أمته على النضال لنيل الحرية، ويدلها على أسباب النصر، ويدعوها لتجاوز أسباب الهزيمة، ويذكرها بالأمجاد الإسلامية ليوقظ من عزيمتها، ويذود عنها انكسارات حاضرها، كما كان للقضايا الاجتماعية أثر بارز في شعره، فعالج أديبنا قضية الفقر، وقضية السفور والتبرج، وقضية تعطيل العقل بالخمر، وقضية الدعوة إلى الله، كل ذلك تناوله الشاعر بمخاطبة الوجدان بأرق بيان ليصل إلى إقناع المتلقي والتأثير فيه .

وتمثلت نتائج البحث فيما يلي :

- الثقافة الإسلامية العالية لشاعرنا التي استقاها من القرآن الكريم والسنة المطّهرة .
- اتسم أسلوبه بالوضوح الفني، وفصاحة الألفاظ بعيداً عن التقريرية المباشرة .
- لم يقتصر الشاعر على المدلول المعجمي للألفاظ ، بل أعاد صياغتها وتشكيلها من خلال لغة إيحائية رامزة ، تشد القارئ وتفعمه بالأحاسيس الصافية .
- كشفت الدراسة عن عاطفة الشاعر الصادقة في تجاربه الشعرية لأنها تنبعث عن سب صحيح وغير زائف.
- حافظ أديبنا على شكل القصيدة العربية القديمة من إيثار الشكل العمودي من وحدة الوزن والقافية ومع ذلك جاءت الموسيقى الداخلية والخارجية متلائمة مع المعاني والعواطف الداخلية للشاعر، وتشد السامع والقارئ بإيقاعها القوي الثائر الهادر، أو الخفي المنكسر المتعانق مع تجربة

الشاعر.

- تحققت الوحدة الموضوعية في جميع شعره والعضوية في معظم قصائده .
- خلت مطالع الشاعر من المقدمات الطللية والغزلية بل آثر الدخول في موضوع القصيدة مباشرة فضلاً عن عناوين القصائد .
- استقى الشاعر بعض صوره من الشعراء السابقين، وأضاف إليها معاني جديدة، كما تأثر في بعض صوره بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، والأمثال العربية .
- جاءت صور الشاعر الجزئية والكلية غير مصطنعة بل طبيعية كونها خياله لنقل مشاعره وانفعالاته وأفكاره على نحو مؤثر، بل عمد أحياناً إلى الصورة التي تعتمد على الحقيقة لا الخيال ومع ذلك فهي دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب .

وفي ختام البحث أسأل الله عز وجل التوفيق والسداد .

والحمد لله أولاً وآخراً .

ثبت المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- الحديث النبوي الشريف .

٣- الإبداع الموازي التحليل النصي للشعر، د. محمد حماسة عبد اللطيف، طبعة ٢٠٠١م، دار غريب، القاهرة .

٤- أبعاد التجربة الشعرية في شعر د. صابر عبد الدايم، تأليف د. صادق علي حبيب، دار الأرقم بالزقازيق، ١٩٩٢م .

٥- الاتجاه الإسلامي في الشعر المصري المحافظ من ١٨٨٢- ١٩١٩م، د/نبيل سليمان طبوشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .

٦- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، أ.د. صابر عبد الدايم، طبعة دار الشروق .

٧- أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد بدوي، الطبعة السادسة، ٢٠٠٤م، دار نهضة مصر .

٨- الأسلوب، أ.د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٩- أصول النقد الأدبي، أ.د. أحمد الشايب، الطبعة الثامنة، ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة .

١٠- الإيضاح للخطيب القزويني، تحقيق أ.د. فتحي عبد القادر فريد، أ.د. فتحي عبد الرحمن حجازي .

١١- البلاغة تطور وتاريخ، د. شوقي ضيف، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٧٧م .

١٢- البناء العروضي للقصيدة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

١٣- البناء الفني للصورة الأدبية، أ.د. علي علي صبح، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م، المكتبة الأزهرية، القاهرة.

١٤- التاريخ أثره وفائدته، ت أ.ل . راوز، ترجمة مجد الدين حفني ناصف،

مراجعة د. محمد أحمد أنيس، مؤسسة سجل العرب، طبعة ١٩٦٨م.
١٥- التجربة الشعرية بين النظرية النقدية والتطبيق الفني، د. ناصر فؤاد بدوي، الطبعة الأولى، دار الأرقم، ١٩٩٣م.
١٦- التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤م، دار الثقافة، بيروت، القاهرة .
١٧- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧٠م.
١٨- حديث الأربعاء، د. طه حسين، الطبعة الثالثة عشرة، دار المعارف، القاهرة .
١٩- الحنين إلى الأوطان للجاحظ، الطبعة الثانية، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ / ١٩٨٢م .
٢٠- دراسات أدبية، د. عمر الدسوقي، طبعة مكتبة الأنجلو، نهضة مصر، الفجالة.
٢١- دراسات في الأدب المعاصر، د. محمد عبد المنعم خفاجي، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.
٢٢- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، طبعة دار المعارف .
٢٣- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي العلاء المعري، تحقيق ودراسة د/ عبد المجيد دياب، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، دار المعارف.
٢٤- ديوان أبي الطيب المتنبي، شرحه وكتب حواشيه مصطفى سبيتي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
٢٥- الديوان في الأدب والنقد، عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م .
٢٦- ديوان ويزهر السعد للشاعر محمد توكلنا، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، سلسلة روافد، الإصدار ٧٩ .
٢٧- الرواية التاريخية في أدبنا الحديث، دراسة تطبيقية د. حلمي محمد

القاعود، كتابات نقدية (١٣٩)، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٣م، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة .
٢٨- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة وتحليل، د. عبد الرازق أبو زايد، مكتبة الشباب .
٢٩- شعر شوقي الغنائي والمسرحي، د. طه وادي، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، دار المعارف.
٣٠- الشعراء وإنشاد الشعر، د. علي الجندي، ط دار المعارف مصر .
٣١- الشوقيات، أحمد شوقي، شرح وتبويب د/ علي عبد المنعم عبد الحميد، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م، الشركة المصرية العالمية لونجمان.
٣٢- الصورة الأدبية تاريخ ونقد، د. علي علي صبح، طبع عيسى البابي الحلبي بدون تاريخ .
٣٣- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، د. جابر أحمد عصفور، دار المعارف.
٣٤- العمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق د. النبوي شعلان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، مكتبة الخانجي، القاهرة .
٣٥- عيار الشعر تأليف أبي الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تحقيق د. عبد العزيز بن ناصر المانع، طبعة دار العلوم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٠م.
٣٦- فصول في الشعر ونقده، د. شوقي ضيف، دار المعارف .
٣٧-فقه اللغة وسر العربية للثعالبي، تحقيق أ.د. مصطفى السقا، طبعة الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة .
٣٨- قراءات في الشعر العربي المعاصر، د. علي عشري زايد، طبعة دار الفكر العربي ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م .
٣٩- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث، د. حلمي محمد القاعود، دار الاعتصام ١٩٩٨م .
٤٠- قضايا حول الشعر، د. عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م .

٤١- قضايا النقد الأدبي الحديث، د. محمد السعدي فرهود، الطبعة الأولى ١٩٦٨م، دار الطباعة المحمدية .
٤٢- قضايا النقد المعاصر، نازك الملائكة، الطبعة الأولى ١٩٦٢م، مكتبة النهضة، بغداد .
٤٣- القومية العربية في الشعر الحديث، د. أحمد الحوفي، دار نهضة مصر، القاهرة .
٤٤- كشف الغمة في مدح سيد الأمة، محمود سامي البارودي، تقديم د. سعد ظلام، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٨م .
٤٥- لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور، طبعة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م، دار الحديث، طبعة مراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة الأساتذة المتخصصين .
٤٦- اللغة العربية معناها ومبناها، أ. تمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٩م .
٤٧- مجلة الأدب الإسلامي، العدد الواحد والستون، ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .
٤٨- مجلة الأدب الإسلامي، العدد التاسع والتسعون، ١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م .
٤٩- مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني قدم له وعلق عليه نعيم زرزور، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت .
٥٠- محمد (صلى الله عليه وسلم) في الشعر الحديث، د.حلمي محمد القاعود، طبعة ١٤٠٨هـ /١٩٨٧م، دار الوفاء بالمنصورة .
٥١- مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، د. عبد الغني محمد بركة، الطبعة الأولى، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م .
٥٢- المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢م .
٥٣- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، الطبعة الرابعة، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م، مكتبة الشروق الدولية .
٥٤- مفهوم الشعر في التراث النقدي، د. جابر عصفور، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، ٢٠٠٩.

٥٥-مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، سلسلة التراث، ٢٠٠٦م، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٥٦- موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، الطبعة السابعة ١٩٩٧م، الأنجلو المصرية .

٥٧- الموسيقى الشعرية قيم وإلهام وأصول، أ.د. نادية أحمد مسعد، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .

٥٨- عز الدين إسماعيل، د. محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، سلسلة نقاد الأدب (٣) .

٥٩- النقد الأدبي، أحمد أمين، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م، مكتبة النهضة المصرية .

٦٠- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، مطبعة الفجالة بالقاهرة .

٦١- نقد الشعر لقدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، الطبعة الأولى ١٩٤٨م، مكتبة الخانجي .

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
*** المقدمة**	١٢٩٩
*** التمهيد :**	١٣٠١
*** الفصل الأول:** الدراسة الموضوعية «لهموم الوطن وقضاياه في ديوان: ويزهر السعد»	١٢١٤
ـ المبحث الأول: الشعر الوطني .	١٣١٥
ـ المبحث الثاني : الشعر الاجتماعي .	١٣٢٣
*** الفصل الثاني:** الدراسة الفنية	١٣٢٩
ـ المبحث الأول: الألفاظ والأساليب .	١٣٣٠
ـ المبحث الثاني: المعاني والأفكار .	١٣٤٤
ـ المبحث الثالث: الصورة الشعرية .	١٣٤٩
ـ المبحث الرابع: التجربة الشعرية .	١٣٦١
ـ المبحث الخامس: الوحدة العضوية .	١٣٦٥
ـ المبحث السادس: الموسيقى الشعرية .	١٣٧١
وكانت الخاتمة وذكر فيها النتائج المهمة .	١٣٧٧
ثبت المصادر والمراجع	١٣٧٩
فهرس الموضوعات	١٣٨٤